

سلسلة دواوين
الشعراء من أصحاب علي أمير المؤمنين (ع)

ديوان سعيد بن قيس الهمداني

جمع و تحقيق و شرح قيس العطار

سال امير المؤمنين امام على (عليه السلام)
سيزدهمين نمايشگاه بين المللى كتاب تهران

هذا هو الديوان الخامس من سلسلة دواوين الشعراء من أصحاب علي
أمير المؤمنين عليه السلام.

و هو ديوان: سعيد بن قيس الهمداني

الشاعر التابعي الزاهد، والموالي المخلص، الذي قرنت شجاعته وشهرته
في صحبة أمير المؤمنين عليه السلام بشجاعة وصحبة مالك الأشتر.

شاعر، خطيب، سيّد همدان المطلق، وفارسها المحارب، وسياسيها
المجرب، ومن كان عين إمامه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها حثالات
التاريخ، معتمد الإمام الحسن السبط عليه السلام وموضع ثقته.

و هو صاحب البائية الطنانة، والنونيتين الرنانتين، الحاذق برسم الصورة
الملائكية لمحبيه، والتجهّات الشيطانية لمناويله. ترفرف كلماته بأجنحة
من نور حين يناغم الرمز الخير «المولى؛ أبا الحسن والحسين؛ المهاجر؛
التقي؛ والد المؤمنين؛ عليا» عليه السلام، ويتبيّن الانفعال خلال حروفه حين يهجن
الرمز الشرّ «الطليق؛ الناصب؛ نتاج بني كرب؛ ابن هند؛ معاوية».

مع سعيد الهمداني، الشاعر المصور الأريحي، والزعيم الممدّح، والخطيب
المقوال، والموالي لأولياء الله المتبرّي من أعداء الله.
مع الشاعر الذي عثم عليه فمات بمضيعة.



سلسلة دواوين
الشعراء من أصحاب علي أمير المؤمنين (ع)
٥

ديوان
سليمان بن قيس الصماني

جمع و تحقيق و شرح قيس العطار



بمساعدة معاونة الشؤون الثقافية
وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي

سلسلة دواوين الشعراء من أصحاب علي أمير المؤمنين عليه السلام (٥)

اسم الكتاب : ديوان سعيد بن قيس الهمداني

تحقيق : قيس العطار

الناشر : دليل

الطبع : الأولى

تاريخ الطبع : ١٤٢١ هـ . ق ، ١٣٧٩ هـ . ش

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

السعر : ٦٠٠ تومان

شابك : ISBN: ٩٦٤-٧٠٠٧-١٤-٠

قم، ص . پ ١١٥٣ - ٣٧١٣٥ - تليفون ٢٥١١٦٩٠ - ٠٩١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

وَأَنْتَ يَا سَعِيدُ بِمَنْزِلَةِ عَيْنِي الَّتِي أَبْصَرْتُ بِهَا
وَيَدِي الَّتِي أَبْطَشْتُ بِهَا

مجالس المؤمنين ج ١، ص ٢٩٦



الفهرس

الموضوع	الصفحة
نَسْبُهُ	٧
إيمانه و ولاؤه	٨
بطولته و شجاعته	١٥
حوادث عصره و أدواره فيها	٢٣
بقي شيء	٣٢
روايته	٣٥
سعيد شاعراً	٤٠
خطابته	٥٤
كلمات أخرى	٦١
وفاته	٦٥
منهج التحقيق	٦٨

شعر سعيد بن قيس الهمداني

أصبحت راجعا	٧٣
رايات الطعان	٧٨
ربّ الحلّ و الإحرام	٨٠
رمحي في حشاه	٨٢



٨٤	:	والدنا علي
٨٦	:	تكفيكها همدانها
٨٩	:	بؤساً لهم
٩١	:	فاتني معاوية
٩٤	:	هذا عليّ
٩٥	:	ثبت مصادر التخريج



نَسَبُهُ :

هو سعيد بن قيس بن زيد^١ بن مرب^٢ بن معد يكرب بن سيف بن عمرو بن السَّبيع بن سَبْع^٣ بن صعب بن معاوية بن كثير^٤ بن مالك بن جُشَم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان - وهو أَوْسَلَة - بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار^٥ بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ^٦.

- ١ - في حاشية الاشتقاق ص ٥٣١ «يزيد». و سقط الاسم من صفين ص ١١٧.
- ٢ - في جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٥ «زيد مدى بن معد يكرب» وهو من غلط النسخ و الصواب ما في ص ٤٣٦ منه، إذ الاسم فيه كالمثبت أعلاه.
في صفين «بن مرّة».
- في حاشية الاشتقاق: «بن برت».
- في العقد الفريد ج ٣، ص ٣٣٨ «بن حرب».
- في أعلام الزركلي ج ٣، ص ١٥٣ «بن مريب».
- ٣ - «بن سبع» ليس في العقد الفريد.
- ٤ - في العقد الفريد، ونهاية الأرب ج ٢، ص ٣٢٠ «بن كبير».
- ٥ - قال في نهاية الأرب: «وقيل هو الجبار بالجميم والباء الموحدة».
- ٦ - النسب كاملاً عن جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٢ - ٣٩٥. و توجد فيه اختلافات أخرى غير

وقد كان هذا النسب العالي مفخرة لشاعرنا يتحلّى بها، فهو من عليّة همدان ومن كبرائها، مضافاً إلى أنّه كان من سلالة ملوك همدان، فقد قتل زيد بن مرب - جدّ سعيد بن قيس - علقمة بن شراحيل بن ذي جَدَن - الملقّب بـ «ذي قيفان» - الذي كان ملكاً بمدينة البُؤن وهي مدينة باليمن لهمدان، قتله وملك مكانه^١.

هذا، وكان سعيد أيضاً من سادات همدان، بل سيّدها المطاع على الإطلاق، قال ابن حزم عند ذكر السّبيع: ومنهم سيّد همدان سعيد بن قيس^٢. فجمع بين سطة النسب وعلوّه، وبين الملك والرئاسة في الجاهلية والإسلام. وإلى سعيد هذا نسبة «السعديين» في بيت زود باليمن^٣.

إيمانه و ولاؤه:

إننا وإن لم نستطع تحديد ولادة سعيد بن قيس على وجه الدقة ولا التخمين، لعدم نصّ المؤرخين والمترجمين له على ذلك، ولعدم عثورنا على القرائن التي تقرّبنا من تحديد ذلك، إلّا أنّنا علمنا أنّه كان من كبار التابعين ومن الذين يُفتخر بهم ويقتدى بإيمانهم ومنزلتهم العقائدية والولائية.

قال الفضل بن شاذان: فمن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم جندب بن زهير قاتل الساحر، وعبدالله بن بُديل، وحجر بن عدي، وسليمان بن صُرد، والمسيّب بن نجبة، وعلقمة، والأشتر، وسعيد بن قيس، وأشباههم كثير، أفناهم الحرب ثمّ

١ - ما أثبتناه منها. انظر عجالة المبتدي ص ١٢٥، وأعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٦.

٢ - انظر جمهرة أنساب العرب ص ٤٣٦ - ٤٣٧، وحاشية الاشتقاق ص ٥٣١.

٣ - جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٥.

٣ - الأعلام ج ٣، ص ١٥٣.



كثروا بعدُ حتَّى قتلوا مع الحسين عليه السلام و بعده^١.

و هذا المدح الذي نقله الفضل يدلّ على المنزلة العظيمة لهذا التابعي الجليل،
و أنّه من الرؤساء الزهّاد، مقروناً بأشهر تابعي من مخلصي أصحاب أمير المؤمنين، ألا
و هو مالك الأشتر؛ قال العلامة المامقاني: ثمّ لا يخفى عليك أنّ إطلاق سعيد بن
قيس ينصرف إلى هذا الرجل، و هو المشهور في صحبة الأمير عليه السلام شهرة مالك
الأشتر^٢.

و ليس بدعاً أن يقال هذا في حقّ سعيد، لأنّ إماميه عليّاً و الحسن عليهما السلام ذكرا في
حقّه ما يرتقي به إلى أعلى الدّرجات، و ينظمة في سلك الثقة بل الخواص من
أصحاب أمير المؤمنين.

حيث إنّ سعيداً لمّا قتل عمرو بن الحصين السكوني عندما حاول اغتيال الإمام
علي عليه السلام، جمع معاوية جمعاً من قبائل يحصب و كندة و لخم و جذام تحت إمرة ذي
الكلاع الحميري، و أمرهم بقتال همدان خاصة، فلمّا رأهم علي عليه السلام نادى: يا همدان،
فأجابوه «لبيك لبيك يا أمير المؤمنين»، و أبلوا بلاء عظيمًا، و توجّه سعيد في رجال
همدان حتّى هزم تلك الجموع و ألحقهم بسراذق معاوية، و بارز في هذه الحرب
عدّة مبارزات، فسّر علي عليه السلام بذلك، و أثنى على سعيد و قبيلة همدان و قال:
يا آل همدان أنتم مجنّي و درعي، بكم استظهر.

و أنت يا سعيد بمنزلة عيني التي أبصرُ بها، و يدي التي أبطش بها، و في كلّ وقت
و في كلّ عمل أعتمد على شجاعتك و رجولتك^٣.

١ - رجال الكشي ج ١، ص ٢٨٦.

٢ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.

٣ - مجالس المؤمنين ج ١، ص ٢٩٦.

ولا أظن أنّ هناك فخراً ومدحاً فوق أن يكون المرء المؤمن عيناً لإمامه يرى بها،
ويدأله يبطش بها، وأن يكون رداءً وبطلاً يعتمد عليه إمام الشجعان في الشجاعة و
الرجولة.

هذا، ومما يدل على وثاقته وعدالته أنّ أمير المؤمنين أمّره على ثمانية آلاف و
سبّره لردّ غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، ولما كان يوم صفين وقسم
عليه عليه السلام عسكره أسباعاً جعله على همدان... وبالجملة فتأميره عليه السلام إياه أقوى دليل
على عدالته^١.

وأمّر الإمام الحسن عليه السلام عبيد الله بن العباس أن يشاور في أموره قيس بن سعد و
سعيد بن قيس، فإن أصيب عبيد الله فالأمير بعده قيس، وإن أصيب قيس فالأمير
بعده سعيد، هذا بعد أن عدّه الإمام عليه السلام من بقية ثقة أمير المؤمنين عليه السلام، قال الإمام
الحسن عليه السلام لابن عمه عبيد الله بن العباس :

إني باعثُ إليك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء مصر، الرجل
منهم يزنُ الكتيبة، فسر بهم، و ألنْ لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك، و
افرش لهم جناحك، و أدنهم من مجلسك؛ فإنّهم بقية ثقات
أمير المؤمنين عليه السلام ... و شاور هذين - يعني قيس بن سعد و سعيد بن
قيس - .. وإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أصيب قيس بن سعد
فسعيد بن قيس على الناس^٢.

قال المامقاني: ولا يخفى أنّ تأميره على الجيش و عدّه من بقايا ثقات
أمير المؤمنين عليه السلام من أعلى أفراد توثيقه^٣.

١ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩ - ٣٠.

٢ - شرح النهج ج ١٦، ص ٤٠.

٣ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.



و لعلّ مواقف سعيد و سيرته و أقواله - مضافاً لما سيأتي من روايته أنّ الأئمة اثناعشر كلّهم من قريش - خير أدلة على ماله من منزلة، و ما يحمل من يقين بالله و رسوله و إمامه؛ فإنّ أقواله التي صرّح فيها بولائه المطلق و انقياده التام لأُمير المؤمنين، كثيرةٌ و حاسمة، بحيث إنّها تبين الوجه الإيماني المشرق لهذا التابعي الجليل.

فحين أحسنت همدان القتال في صفين، و جمعها علي عليه السلام و قال: يا معشر همدان أنتم درعي و زُمحي، يا همدان ما نصرتم إلّا الله و لا أجبتُم غيره، قام سعيد بن قيس و قال: أجبنا الله و أجبناك، و نصّرنا نبيّ الله ﷺ في قبره، و قاتلنا معك من ليس مثلك، فارم بنا حيث أحببت^١.

و لما اشتكى الإمام علي عليه السلام تناقل أصحابه و كثرة اللغط، قام حجر بن عدي الكندي و سعيد بن قيس الهمداني، فقالا: لا يسؤك الله يا أمير المؤمنين، مُرنا بأمرك نتّبعه، فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت، و لا على عشائرنّا إن قُتِلت في طاعتك^٢.

و أراد علي عليه السلام الرجوع إلى غزو الشام، و أخذ بتجهيز الجيش و إعداد العدة، و كان الناس قد تلاوموا لعدم إطاعته عليه السلام فجاءوه معتذرين و اعدّين إياه بعدم العصيان، و بأن لا يرى منهم شيئاً يكرهه، فقال عليه السلام في جملة كلام و وجهه لهم: استقيموا لي فيما أمركم به و أدعوكم إليه من غزو الشام و أهله.

فقام إليه سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لو أمرتنا بالمسير إلى قسطنطينية و روميّة مشاةً حفاةً على غير عطاء و لا قوّة ما خالفتك أنا و لا رجل

١ - انظر صفين ص ٤٣٧، و الفتوح ج ٢، ص ٢٨.

٢ - الغارات ص ٣٣٢.

من قومي، فقال علي عليه السلام: صدقتم جزاكم الله خيراً^١.

وكانت لسعيد بن قيس مواقف مشرّفة أخرى في زمان الحسن بن علي عليه السلام، تدلّ على جلالته وعظمته، كان في طليعتها دفاعه المستميت عنه عليه السلام عندما ثار به الخوارج وطعنوه في فخذه وانهبوا فسطاطه ومناعه.

قال المامقاني: ومما يدلّ على علوّ مرتبته وجلالته ما روي من أنّه لمّا نفر الناس بالحسن عليه السلام في سابات المدائن، دعا ربيعة وحمدان، وفيهم سعيد بن قيس، فأطافوا به يمنعونهم ممّن أراداه، فإنّه يدلّ على شدّة الاعتماد عليه ومعلوميّة خلوص ولائه^٢. ولهذا التاريخ العريق في ولاء محمد وآل محمد، ولتلك البطولات التي أقصّت مضجع معاوية، حاول معاوية الانتقام منه - كدأبه مع خصومه ومناوئيه حين يقدر عليهم أو يكاد - فأراد استثناءه من الأمان للشيعه ورجالهم، ذلك الأمان الذي أصرّ الإمام الحسن عليه السلام أن يكون عامّاً شاملاً، وأصرّ معاوية على استثناء عشرة نفر من الأمان^٣، أولئك العشرة الذين يجد كل من تتبّع السيرة أنّهم أشدّ أنصار الإمام الحسن عليه السلام الذين يثق بدينهم وبسالتهم، وعلى رأسهم سعيد بن قيس، وقيس بن سعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي رضوان الله عليهم^٤.

ولم يكن معاوية وحده يحاول الانتقام من أهل البيت وأنصارهم، بل كان كلّ الأمويين وذيولهم حافدين على أهل البيت وأتباعهم، حتّى صرّحوا بأخذ الثأر من رسول الله في واقعة الطفّ المريعة، وكان من الذين أفرغوا أحقادهم ودفائن

١ - الغارات ص ٤٣٩.

٢ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.

٣ - انظر تاريخ الخميس ج ٢، ص ٢٩٠.

٤ - انظر تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.



صدورهم أحد من كان سعيد بن قيس يحبسه لجناياته و فسقه، حيث حضر هذا الفاسق - المسمّى عبدالله بن شهر أباً حرب السَّبَّيْعِي - لقتال الحسين عليه السلام طاعةً لأسياده الأمويين و من ورائهم الشيطان الرجيم، مع علمه اليقين بأنّ الحسين و أصحابه طيّبون مطهرون.

روى الطبري عن أبي مخنف، عن عبدالله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبدالله المشرفي^١ قال: فلَمّا أَمسى حسين و أصحابه قاموا الليل كلّهم يصلّون و يستغفرون و يدعون و يتضرّعون، قال: فتمرّ بنا خيل لهم تحرسنا و إنّ حُسَيْنًا ليقراً **﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنّنا نملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نملي لهم ليزدادوا إثماً و لهم عذاب مهين﴾** * ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب^٢.

فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا فقال: «نحن و ربّ الكعبة الطيّبون مُيّزنا منكم، قال: فعرفته فقلت لبرير بن حُضِير (الهمداني) أتدري من هذا؟ قال: لا.

قلت: هذا أبو حرب السبَّيْعِي عبدالله بن شهر، و كان مضحاكاً بطّالاً، و كان شريفاً شجاعاً فاتكاً، و كان سعيد بن قيس ربّما حبسه في جناية.

فقال له برير بن حُضِير: يا فاسق، أنت يجعلك الله في الطيّبين؟!

فقال له: من أنت؟

قال: أنا بُرَيْر بن حُضِير.

١ - ذكر الشيخ السماوي أن اسمه الضحّاك بن قيس المشرفي، و قال: و كان بايعَ الحسين عليه السلام على أن يحامي عنه ما ظنّ المحاماة تدفع عن الحسين عليه السلام فإن لم يجد بُدّاً فهو في حلٍّ (انظر إِبصار العين ص ٧١).

٢ - آل عمران آيه ١٧٨ - ١٧٩.

قال : إنا لله، عزَّ عليّ، هلكْتُ والله، هلكْتُ والله يا بُرير.

قال : يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام، فوالله إنا لنحنُ الطيّبون، ولكنكم لأنتم الخبيثون.

قال : وأنا على ذلك من الشاهدين.

قلتُ : ويحك أفلا ينفعك معرفتك ؟!

قال : جُعِلت فداك، فمن ينادم يزيد بن عذرة العنزي - من عنز بن وائل ؟- ها هوذا معي.

قال : قَبِّحَ اللهُ رأيك، على كُلِّ حالٍ أنت سفيه. قال: ثم انصرف عنا^١.

فها نحن نرى أنَّ هذا اللعين كان يعلم علم اليقين أنَّ الحسين و بُريراً و باقي أصحاب أبي عبدالله رُوحِي فداه كانوا على الحقِّ، و أنَّهم المطيِّبون الطاهرون، لكنَّه لم يرتدع عن قتالهم، و ظل عاكفاً على فسقه و فجوره، و بلغت به العصبية و الحمية الجاهلية أن يحاول الانتقام من بُريرِ الهمداني عبر محاربته، ليأخذ ثاره من سعيد الهمداني الذي ما كان يحبسه إلَّا بحق من حقوق الله أو المسلمين، و هذا هو دأب النفوس الحاقدة، و العقول الفاسدة، و هذا هو شأن الأمويين و أتباعهم.

وها هو سعيد بن قيس الرجل الصالح العابد، و المحارب المعاند، و الشيعي الإمامي المخلص، كأنَّه عاش ليدفع ضريبة إسلامه و إيمانه، و ليكون رمزاً من رموز الخير البشري، و هذه كُلُّ كلمات الإمامين الهمامين علي و الحسن عليه السلام، و كُلُّ كلمات سعيد بن قيس في الدفاع عن حريم الولاية، و كُلِّ مواقفهِ الثابتة في الذود عن الولاء المقدَّس، تدلُّ على عظمة هذا الرجل، و ارتقائه سُلَّم الإيمان، و إطاعته الله و رسوله

و أولي الأمر؛ الأئمة من آل محمد.

بطولته و شجاعته :

كان سعيد بن قيس آيةً من آيات الشجاعة، و معجزة من معاجز الحرب، له فيها باعٌ طويل و تجربة بل تجارب ناجحة، و قد برزت قدراته العسكرية و حسن قيادته لهمدان في المواقع و المسؤوليات التي أنيطت به، في حربي الجمل و صفين، و من بعدهما المناورات التي كانت بين جيوش سبط رسول الله الحسن بن علي، و جيوش ابن آكلة الأكباد، حتى أقرله معاصروه - و على رأسهم الإمام علي عليه السلام - بالشجاعة و البسالة، كما أقرله بها من بعدهم حتى يومنا الحاضر.

فقد قال الإمام علي عليه السلام في حقّه: و أنت يا سعيد بمنزلة عيني التي أبصر بها و يدي التي أبطش بها^١، و ذلك حين قتل سعيد عمرو بن حصين السكوني الذي أراد اغتيال الإمام علي عليه السلام، فتنبه سعيد لتلك المحاولة الدنيئة، فعّل المقاتل الباسل اليقظ الساهرة عينه لحفظ قائده و إمامه، فسّر علي بذلك و بقتاله قتال المستميتين في ذلك اليوم، و أثنى على سعيد و قبيلته همدان هذا الثناء المنقطع النظير، بل طفع الإمام علي بالفخر قبلك القبيلة الوفية همدان، و بزعيمها سعيد بن قيس، فأنشأ أبياتا يمدحهم بها، و يقول فيها :

فوارس من همدان ليسوا بعزّل
غداة الوغى من شاكر و شبام

يقودهم حامي الحقيقة ماجد
سعيد بن قيس و الكريم محامي^٢

و يظهر جلياً أنّ سعيداً كان يحرس الإمام علياً أشد الحراسة، و يحرص على

١ - مجالس المؤمنين ج ١، ص ٢٩٦.

٢ - مناقب آل أبي طالب ج ٣، ص ١٧١ - ١٧٢.

سلامته أيما حرص، و يتبعه اتباع الظل للشخص، فقد خرج علي عليه السلام في يوم من أيام صفين وفي يده عترة، فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني، فقال له سعيد: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالك أحدٌ وأنت قرب عدوك؟!

فقال له الإمام علي عليه السلام وأجابه معلماً ومفهماً وموضحاً معنى القدر الإلهي، وجود الملكين اللذين يتخلفان عن ابن آدم حين مجيء الأجل، فقال علي عليه السلام: «إنه ليس من أحد إلا عليه من الله حَفَظَةٌ يحفظونه من أن يتردّى في قلب، أو يختر عليه حائط، أو تصيبه آفة، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه»^١.

فهذه المواقف توضّح شجاعة سعيد بن قيس، وحنكته الحربية في تحرّزه من الأعداء عبر خوفه على إمامه أمير المؤمنين، كما تُبرز حبّ سعيد لأمر المؤمنين وحرصه على بقائه و سلامته.

وكان الإمام أمير المؤمنين قد أُلْمِحَ إلى بطولة سعيد من قبل في يوم الجمل، قالوا: ولما رأى عليّ لوث أهل البصرة بالجمل، وأنهم كلّما كُشِفُوا عنه عادوا فلاثوا به، قال لعمار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر وابن بُديل ومحمد بن أبي بكر، وأشباههم من حُماة أصحابه: «إنّ هؤلاء لا يزالون يقاتلون مادام هذا الجمل نَصَبَ أعينهم، ولو قد عُقِرَ فسقط لم تثبت له ثابتة»، فعقروا الجمل فسقط وله رغاء فغرق في القتلى^٢.

فانتداب علي لهذه الكوكبة من الأبطال الحماة يدل على مدى شجاعتهم واعتمادهم عليهم، كما يلّمح إلى شدّة اعتماد الإمام عليهم في المُلِمّات والمهمات. وحسبك أنّ معاوية - وهو الخصم اللدود - قرّن شجاعة سعيد بن قيس بشجاعة

١ - صفين ص ٢٥٠.

٢ - انظر الأخبار الطوال ص ١٥٠ - ١٥١.

الأشتر الذي هو مضرب المثل في الشجاعة والبطولة، فحين رجع عبيدالله بن عمر إلى معاوية مذعوراً فارّاً من مالك الأشتر، وبّخه معاوية وقال له: هل هو إلّا رجل مثلك؟! فقال له عبيدالله بن عمر: فاخرج أنت إليه، فقال معاوية: أما إنّه لو كان واقفاً في موضعه لخرجتُ إليه، ولكنّه قد انصرف... وأنت تعلم أنّي برزت إلى سعيد بن قيس وهو نظير الأشتر في الشجاعة والشدة^١.

لكنّ المعاصرين لمعارية كانوا قد هزؤوا بمعاوية، خصوصاً الشاعر الحيادي المعتزل للطرفين، أيمن بن خريم الأسديّ، فإنّه لما بلغه ما لقي معاوية وأصحابه شمت، وقال :

معاوي إنّ الأمر لله وحده وإنّك لا تستطيع ضراً ولا نفعا
عبأت رجالاً من قريش لمعشر يمانية لا تستطيع لها دفعا
فكيف رأيت الأمر إذ جدّ جدّه لقد زادك الرأي الذي جئتُه جدعا
تعبّي لقيس أو عديّ بن حاتم والأشتر، يا للناس أغمارك الجدعا
وإنّ سعيداً إذ برزت لرُمحه لفارس همدان الذي يشعب الصدعا^٢

ولم يقتصر هذا الإعجاب ببطولته على الصحابة فقط، بل أعجب به أكابر التابعين وعلى رأسهم الشعبي، حيث نُقِلَ عن مالك بن قدامة الأرحبي خطبة لسعيد قال من جملتها: ألا إنّكم ستلقون عدوكم غداً، فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم، والصدق والصبر؛ فإنّ الله مع الصابرين، ألا إنّكم تفوزون بقتلهم ويشقون بقتلكم، والله لا يقتل رجلٌ منكم رجلاً منهم إلّا أدخل الله القتال جناتٍ عدنٍ، وأدخل المقتول ناراً تلظى

١ - الفتوح ج ٢، ص ٤٢.

٢ - انظر صفين ص ٤٣٠ - ٤٣١.

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه، وجعلنا وإياكم ممّن أطاعه واتّقاءه، وأستغفر الله لنا ولكم وللمؤمنين.

قال الشعبي: لعمرى لقد صدق بفعله، ما قال في خطبته^١.

ولذلك كان سعيد من أعمدة القتال في بناء الجيش العلوي، وقد صرّح المؤرخون بهذه الحقيقة وقالوا: كان عليّ عليه السلام يُخرج إلى القتال مرّة الأشتري، و مرّة حجر بن عدي... و مرّة سعيد بن قيس الهمداني، و مرّة معقل بن قيس الرياحي، و مرّة قيس بن سعد الأنصاري^٢.

وقد ذكره كل من ترجم له بالإجلال والإكبار والإشادة بمواقفه الحربية، و بطولاته القتالية، فقال عنه الشيخ عباس القمي في سفينة البحار: كان سيد همدان و عظيمها و المطاع فيها، و كان من أبطال أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، و حروبه في صفيين معروفة^٣.

و قال المامقاني: و كان سيد همدان و عظيمها و المطاع فيها، له مواقف مشهودة مشهورة بصفيين يعرفها الناظر في كتب المغازي و التاريخ^٤.

و قال السيّد الأمين: و كان من المخلصين في ولاء أمير المؤمنين عليه السلام و من الشجعان المعروفين^٥.

١ - صفيين ص ٢٣٧.

٢ - تاريخ ابن الأثير ج ٣، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

٣ - سفينة البحار ج ١، ص ٦٢٢.

٤ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.

٥ - أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٢.



و قال في مكان آخر: وكان سعيد بن قيس الهمداني فارساً شجاعاً شاعراً، من خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، شهد معه الجمل و صفين، و أخبره دالة على علوّ مقامه و خلوص ولائه^١.

و قال عنه الزركلي: فارس من الدّهاة الأجواد، من سلالة ملوك همدان، كان خاصّاً بالإمام علي بن أبي طالب، و قاتل معه يوم صفين، و كان إليه أمر همدان بالعراق^٢. ولكي لا يكون قولنا و أقوال هؤلاء العلماء مجرّد دعاوى، رأينا أن نعرض بعضاً من مواقفه و بطولاته، ليتوضّح لنا مقدار مصداقية تلك العبارات التي أطرت سعيداً و شجاعته و فروسيته.

و أولها كما مر عليك هو موقفه من الجمل حيث شارك في عقره مع جماعة من حماة أصحاب علي عليه السلام^٣، و ليس بخفي على اللبيب بأنّ أشدّ القتال في البصرة كان حول الجمل الملعون، و أنّ أشدّاء جيش الناكثين و فرسانهم من الأزد و غيرهم كانوا يقاتلون عن الجمل قتالاً عنيفاً، فاقتحام الجمل و من حوله يعدّ بطولة عالية من البطولات.

و في صفين لما تعاضمت الأمور على معاوية قال لأصحابه: إنّّه قد غمّني رجال من أصحاب علي، منهم سعيد بن قيس في همدان... فأصبح معاوية في غده فلم يدع فارساً إلّا حشده، ثم قصد لهمدان بنفسه... ثم إنّ همدان تنادت بشعارها، و أقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية و اشتد القتال، و حجز بينهم الليل، فذكرت همدان أنّ معاوية فاتها ركضاً^٤.

١ - أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٣.

٢ - الأعلام ج ٣، ص ١٥٣.

٣ - الأخبار الطوال ص ١٥٠.

٤ - صفين ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

و لبطولة سعيد الفائقة، و بطولة قومه، كان الإمام علي يدعوه و يدعوهم في المعارك الحساسة الحاسمة، فقد أصبح معاوية يوماً من أيام صفين و نادى في أحياء اليمن، فقال: عُبُّوا إِلَيَّ كُلَّ فارس مذكور فيكم أَتَقَوَّى بِهِ لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ هَمْدَانَ، فخرجت خيل عظيمة، فلَمَّا رَأَاهَا عَلِيٌّ عَرَفَ أَنَّهَا عِيُونَ الرِّجَالِ، فنَادَى: يَا لَهْمْدَانَ، فَأَجَابَهُ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ، فقال له علي عليه السلام: احْمِلْ، فحمل حتى خالط الخيل و اشتدَّ القتال، و حطمتهم همدان^١.

و كانت شجاعة سعيد مقرونة دائماً بالخطط الحربيَّة و الحنكة العسكرية، و لم تكن مجرد طاقات بدنية عالية، لأنَّ الشجاعة لوحدها لا تُجدي بدون التجربة الطويلة و الخبرات المتراكمة، و لذلك كان سعيد يخطط و يبرمج أدق الخطط و البرامج مقابل مكائد معاوية و خدعه.

فلَمَّا اشتدَّ القتال و عظم الخطب أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص أنْ قَدِّمْ عَكَاً و الأشعرين إلى مَنْ بِإِزَائِهِمْ، فبعث عمرو إلى معاوية «أَنْ هَمْدَانَ بِإِزَاءِ عِكَ»، فبعث إليه معاوية: «أَنْ قَدِّمْ عَكَاً إِلَى هَمْدَانَ»، فَأَتَاهُمْ عَمْرُو، فقال: يَا مَعْشَرَ عِكَ، إِنَّ عَلِيّاً قَدْ عَرَفَ أَنَّكُمْ حَيٌّ أَهْلُ الشَّامِ فَعَبَّأَ لَكُمْ حَيٌّ أَهْلُ الْعِرَاقِ هَمْدَانٌ... فقالت عك: نحن لهمدان.

قال: فتقدمت عك، و نادى سعيد بن قيس: يَا لَ هَمْدَانَ خَدِّمُوا - أَيِ اضْرِبُوا موضع الخدمة و هي الخلخال، أَيِ اضْرِبُوهُمْ فِي سُوقِهِمْ - فأخذت السيوف أَرْجُلَ عِكَ... و تجالذوا حتى أدركهم الليل، فقالت همدان: يَا مَعْشَرَ عِكَ إِنَّا وَ اللَّهُ لَا نَنْصَرِفُ حَتَّى تَنْصَرِفُوا، و قالت عك مثل ذلك، فأرسل معاوية إلى عِكَ «أَبْرُوا فَسَمِ الْقَوْمَ وَ هَلِّمُوا» فانصرفت عك ثُمَّ انصرفت همدان^٢.

١ - صفين ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

٢ - صفين ص ٤٣٣ - ٤٣٤. و انظر ص ٣٢٩ منه أيضاً.



وهذه الخطة الحربية، أعني خطة ضرب السُّوق تؤدِّي إلى شلّ الزحف المتقدم، وتؤدي إلى حالة الرعب في الجيش الأموي، لأنّ ضرب السوق يعوق التقدم كما يُكثر الجرحى الذين سيكونون مبعث خوف ورُعب لمن يريد التقدم.

ثم لا حظ إصرار همدان بقيادة سعيد على عدم الانسحاب من مقابلة جيش الخصم، وذلك لرفع المعنويات القتالية وإبقائها على نشاطها وإصرارها، كما أنّها تعني حالة كسر الجيش المقابل، وخلق حالة الإحباط والفشل في نفسه، وذلك ما حدث بالفعل حين انسحبت عك مُرغمَةً وتركت حومة القتال.

وفي أحد أيام صفين العصبية اختلط أمرهم حتى ترك أهل الرايات مراكزهم، وأفحم أهل الشام من آخر النهار، وتفرّق الناس عن عليّ عليه السلام، فأتى ربيعة ليلاً فكان فيهم، وأقبل عديّ بن حاتم يطلب عليّاً في موضعه الذي تركه فيه فلم يجده، فطاف يطلبه، فأصابه في مصافّ ربيعة... وأقبل الأشعث - أو الأشر كما في الفتوح - يلهث جزعاً... وأرسل سعيد بن قيس الهمداني إلى عليّ عليه السلام: أنا مشغولون بأمرنا مع القوم وفينا فضل، فإن أردت أن تُمدّ أحداً أمددناه^١.

وهنا يتبين مدى ضبط سعيد لجنده ومدى قدرته على ضبط الجيش واتخاذ الموقف المناسب في المكان والزمان المناسبين، إذ هو يبعث إلى أمير المؤمنين - حين رأى ثغرة يمكن أن يفتحها العدو - عارضاً عليه المدد لرأب الصدع الذي حصل أو يمكن أن يحصل في صفوف ربيعة، لاغياً كل الاعتبارات القبلية، مهتماً بوحدة صف الجيش العلوي.

هذا، مع أنّ هذه الواقعة تبين لنا سيطرة سعيد بن قيس و جيشه على الأوضاع الحربية في أخرج الظروف، كما توضح اهتمام هذا القائد بجميع جبهات القتال و

وجود المعلومات الكافية عنده عن كل ما يحدث من مستجدات حربية.

و عباً معاوية في ليلة من ليالي صفين أربعة آلاف و ثلاثمائة من فارس و راجل مُعلِّمين بالخضرة، و أمرهم أن يأتوا علياً عليه السلام من ورائه، ففطنت لهم همدان، فواجهوهم و صمدوا إليهم، فباتوا تلك الليلة يتحارسون، و علي عليه السلام قد أفضى به ذهابه و مجيئه إلى رايات ربيعة، فوقف بينها و هو لا يعلم و يظن أنه في عسكر الأشعث، فلمّا أصبح لم ير الأشعث ولا أصحابه، وإذا سعيد بن قيس الهمداني على مركزه، فلحقه عليه السلام رجلٌ من ربيعة يقال له زُفر، فقال له: ألسْتَ الزاعِمَ لئن لم تنتهِ ربيعةً لتكوُنَنَّ ربيعة ربيعة و همدان همدان، فما أغنت عنك همدان البارحة؟! فنظر إليه علي عليه السلام نظر مُنكِرٍ.

و ذلك أنّ الإمام علياً - و هو أعلم الناس بالحروب و خُططها - كان يقدر أكبر التقدير ثبات سعيد على مركزه هو و همدان، إذ أنّ ثباته في حين اختلاط باقي الجيش يعني وجود المركزية في القتال، أو قل وجود مقرّ للقيادة لا يمكن للحرب أن تستمر بدونه، و لذلك نظر علي نظر منكر إلى من انتقد سعيداً و همدان في عدم دخولهم في قتال ذلك اليوم و عدم مغادرتهم مواضعهم، لعلمه عليه السلام بصواب ذلك القرار الذي اتخذه سعيد.

و بسبب دهائه و شجاعته، المقروّنين بالولاء الخالص و الاستعداد للتضحية، كان الأعداء يخافونه أشدّ الخوف، و يعتبرونه أحد أركان الجيش العلوي، بل بدونه لا يمكن أن تتم أيّ خطوة للجيش العلوي، فلذلك سخّر معاوية أحد شعرائه في ضمن خطّته الخبيثة عند رفع المصاحف، ليدعُو أصحاب أمير المؤمنين للصلح و تحكيم الكتاب، و قد خاطب هذا الشاعر ثلاثة رهط عدّهم أثافيّ الحرب و موقديها، فقال :



ثلاثة رهط هُم أهلها وإن يسكتوا تخمد الوُقدَه

سعيدُ بنُ قيسٍ وكبشُ العراق وذاك المسوّدُ من كنده^١

فعدّ سعيداً والأشتر والأشعث رؤوس الحرب و موقديها الذين لا يمكن أن تخمد الحرب بدون رضاهم.

و بالفعل بقي سعيدٌ ثابتاً في قومه حتّى آخر اللحظات قبيل توقف الحرب، إذ لمّا تداعى الناس إلى الصلح بعد رفع المصاحف قال عليّ: إنّما فعلتُ ما فعلتُ لمّا بدا فيكم الخَوَر والفَسَل، فجمع سعيد بن قيس قومه، ثم جاء في رجاجة همدان كأنّها ركنٌ حصير^٢... فقال سعيد: ها أنا ذا وقومي لا تُراذك ولا تُرذّ عليك، فمُرنا بما شئت.

فقال عليّ عليه السلام: أما لو كان هذا قبل رفع المصاحف لأزلتهم عن عسكريهم أو تنفرد سألقتي قبل ذلك، ولكن انصرفوا راشدين، فلعمري ما كنت لأعرّض قبيلةً واحدةً للنّاس^٣.

فها هو سعيد، حامي الحقيقة، الفارس المقاتل، والبطل المقدام، الذي صدّق ما قاله بفعله، والذي كان مستعداً للقتال هو وقبيلته - دون كثير من الناس - إطاعةً لإمامه، ودفاعاً عن الحقّ المُراد من الأعداء استباحته بالحيل والألاعيب.

حوادث عصره وأدواره فيها :

١ - كان سعيد بن قيس من المشاركين في فتح نهاوند، سنة ١٩هـ^٤.

١ - صفين ص ٤٨٤.

٢ - وهو جبل باليمن.

٣ - صفين ص ٥٢٠.

٤ - انظر الكامل في التاريخ ج ٣، ص ١٠، و تاريخ الطبري ج ٤، ص ٢٤٠، و تاريخ ابن خلدون

٢- كان في السنة التي قتل فيها عثمان - وهي سنة ٣٥هـ - والي عثمان على الري فيما رواه سيف^١.

٣- لما دنا الإمام علي عليه السلام من البصرة - لحرب الجمل؛ حيث أصرّ الناكثون على العناد - كتب الكتاب و عقد الألوية و الرايات، و جعلها سبع رايات - لأنّ الكوفة يومئذ كانت أسباعاً - فعقد لحمير و همدان راية و ولى عليهم سعيد بن قيس^٢، كما جعله علي عليه السلام على خيل همدان^٣، أو على الميمنة^٤، أو على ميسرة الخيل^٥.

٤- شارك في عقر الجمل هو و حماة أصحاب علي عليه السلام كعمّار بن ياسر و قيس بن سعد بن عباد و الأشتر النخعي، و ابن بُديل، و محمد بن أبي بكر و أشباههم^٦.

٥- حين أراد الإمام علي عليه السلام أن يعجل بالمشير إلى الشام، أشار عليه عامة الناس

ج ٢، ص ٥٥٦.

١- تاريخ الطبري ج ٥، ٩٢، و الكامل في التاريخ ج ٣، ص ١٤٧ و ١٨٧، و تاريخ ابن خلدون

ج ٢، ص ٥٩١.

٢- الأخبار الطوال ص ١٤٦، و أنساب الأشراف ج ٣، ص ٣٢، ثم قال البلاذري: و يقال بل أقام سعيد بالكوفة و كان على السُّبع غيره، و إقامته بالكوفة أثبت، انتهى. و هو و هم؛ لما سيأتي مما ذكره المؤرخون من أدواره و أشعاره في الجمل، و لما سنوضحه من بيان منشأ هذا الوهم بعد قليل.

٣- الجمل ص ٣١٩.

٤- مناقب آل أبي طالب ج ٣، ص ١٥٣ قال: «و على ميمنته الأشتر و سعيد بن قيس».

٥- الفتوح ج ١، ص ٤٧٢.

٦- انظر الأخبار الطوال ص ١٥٠ - ١٥١.



بالمقام بالكوفة، إلّا خمسة نفر: الأشر النخعي، وعدي بن حاتم الطائي، و عمرو بن الحمق الخزاعي، وسعيد بن قيس الهمداني، وهانيء بن عروة المذحجي، فإنهم أشاروا عليه بالمسير إلى الشام^١.

٦- و عندما عقد عليّ عليه السلام الألوية و أمر الأمراء و كتب الكتائب للخروج إلى صفين، عقد ألوية القبائل فاستعمل على همدان سعيد بن قيس الهمداني^٢. كما جعله عليه السلام على الجناح أو على خيل الجناح مع عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وهو أهمّ مواقع العسكر^٣.

٧- و عزل الإمام عليّ عليه السلام الأشعث بن قيس عن زعامة كندة ورأس مكانه حسان ابن مخدوج، فاستاءت اليمانية وكادت أن تقع فتنة، فكان سعيد بن قيس أول من سعى و تكلم فأحمد نار تلك الفتنة، و صوّب رأي الإمام عليه السلام.

٨- في اليوم الثالث بعد استرجاع عليّ عليه السلام شريعة الماء في صفين - و ذلك في شهر ربيع الآخر - أرسل عليه السلام سعيد بن قيس الهمداني و بشير بن عمرو الأنصاري رسولين إلى معاوية قبل بدء القتال إتماماً للحجة عليه، فأصرّ معاوية على بغيه و ما رجع عن غيّه^٥، فقال له سعيد: والله يابن هند لتغلبن سيوف صاحبنا

١ - الفتوح ج ١، ص ٥١٩ - ٥٢٠، و تاريخ ابن خلدون ج ٢، ص ٦٣٩.

٢ - صفين ص ٢٠٥، و شرح النهج ج ٤، ص ٢٧. و في صفين ص ١١٧ «فجعل سعيد بن قيس الهمداني على همدان و من معهم من حمير».

٣ - الفتوح ج ٢، ص ٢٢، و مناقب آل أبي طالب ج ٣، ص ١٦٨، و انظر أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٣.

٤ - انظر صفين ص ١٣٨.

٥ - الفتوح ج ٢، ص ١٧، و مناقب آل أبي طالب ج ٣، ص ١٦٨.

ما تودُّ أن أمَّك هنداً لم تلدك ولم تكن في العالمين^١.

٩ - قاد سعيد بن قيس الجيش في يوم السبت ٤ / صفر / ٣٧ هـ لقتال أهل الشام بقيادة معاوية نفسه الذي لم يدع ذلك اليوم فارساً من الشاميين إلا حشده، فتنادت همدان بشعارها، وأقحم سعيد فرسه على معاوية واشتد القتال، و
كاد قيس أن يقتل معاوية لكنه فاته^٢.

١٠ - وحين عبأ معاوية الكتيبة الخضرية وذلك في ٩ / صفر / ٣٧ قبل احتدام القتال - وهي كتيبة عداها أربعة آلاف^٣ مقاتل معلّمين بالخُصرة يقودهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب - وأمرهم أن يأتوا عليّاً عليه السلام من ورائه، فطنت لهم همدان، فواجهوهم وصدّوا إليهم بالكتيبة الرجراجة، التي فيها أربعة آلاف مقاتل مجتفٍ من همدان يقودهم سعيد بن قيس الهمداني، فأفشل سعيد تلك الخطة الجبّانة^٤.

١١ - كان أحد القوَّاد البارزين الذين قاتلوا في وقعة الخميس ٩ / صفر / ٣٧ هـ التي قُتل فيها المعمَّمون بشقق الحرير الأخضر من رجال معاوية، وهم الصفوف الخمسة الذين نذروا أن يقاتلوا حتّى يقتلوا.

قال ابن أعثم: فصاح أصحاب الصفوف الذين قيدوا أنفسهم بالعمائم: والله لا برحنا هذه العرصة أو يرضى معاوية، قال: فتقدم سعيد بن قيس الهمداني في

١ - الفتوح ج ٢، ص ١٧.

٢ - انظر صفين ص ٤٢٧.

٣ - في صفين ص ٤٥٣ أن عداها (٤٠٠٠) آلاف، وفي ص ٣٣٠ منه أن عداها (٤٣٠٠) فارس و راجل. ولعلّ الأوّل للمسامحة، والثاني هو العدد الدقّي.

٤ - انظر صفين ص ٣٣٠ - ٣٣١ و ٤٥٣.



همدان، و تقدم عدي بن حاتم في طيء، و تقدم الأشتر في مذحج، و تقدم الأشعث في كندة... ثم كَبَرُوا و حملوا على تلك الصفوف الأربعة^١، فقتلوا منها زيادة على ثلاثة آلاف فارس في بقعة واحدة، ثم حملوا على جمهور أصحاب معاوية حتى علَّوهم فألجؤوهم إلى تل فصعدوا عليه، و سعدت همدان في أثرهم خاصّة فحدروهم من التل، و أخذت السيوف هام الرجال^٢.

١٢ - له وقائع أخرى كثيرة، و مواقف حربية أبدى فيها منتهى البسالة و البطولة، منها:

١ - قارع ذا الكلاع و جيشه فهزمهم، و ذلك أنّ معاوية دعا بذي الكلاع الحميري فضمّ إليه خيلاً عظيمة... ثم قال: اخرج و اقصد بحربك همدان خاصّة، فخرج ذو الكلاع في ألف رجل من قبائل اليمن، و نظر إليهم الإمام علي عليه السلام فنادى بأعلى صوته: يا آل همدان، فأجابوه... فقال: عليكم بهذه الخيل؛ فإنّ معاوية قصدكم بها خاصة دون غيركم، فصاح سعيد بن قيس بقومه من همدان، و حمل و حملت معه قبائل همدان، و اختلط القوم و اشتبك القتال ساعة، ثمّ حطمتهم خيل همدان فكدفتهم إلى حريم معاوية، و قد قتل منهم مقتلة عظيمة^٣.

١ - في رواية نصر في صفين أنها خمسة صفوف.

٢ - الفتوح ج ٢، ص ٨٣، و انظر صفين ص ٣٢٩ و ٤٣٤.

٣ - الفتوح ج ٢، ص ٢٨ - ٢٩. و قد ذكر كلّ من البلاذري في أنساب الأشراف ج ٣، ص ٨٦ و المسعودي في مروج الذهب ج ٢، ص ٣٨٩، و ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ج ٣، ص ١٦٩ أنّ سعيداً قاد الجيش العلوي في وقعة يوم الاثنين ٦ / صفر / ٣٧ هـ ضدّ ذي الكلاع، مع أنّ الذي رواه نصر في صفين ص ٤٢٩ أنّ القائد في ذلك اليوم كان هو قيس

ب - وأصبح معاوية في يوم من أيام صفين فنادى في أحياء اليمن، فقال: عبّوا إليّ كل فارس مذكور فيكم أتقوى به لهذا الحيّ من همدان، فخرجت خيل عظيمة، فلمّا رآها عليّ عليه السلام عرف أنّها عُيُونُ الرجال، فنادى: يا لهمدان، فأجابه سعيد بن قيس، فقال له علي: احمل، فحمل حتّى خالط الخيل و اشتدّ القتال، و حطمتهم همدان حتّى ألحقوهم بمعاوية، فقال: ما لقيت من همدان!! و جزع جزعاً شديداً، و أسرع في فرسان أهل الشام القتل^١.

ج - و خرج أبوالأعور السلمي يوماً نحو أصحاب علي و هو يرتجز و يقول : ... فقصده زياد بن كعب الهمداني و هو يقول : ... قال: ثم طعنه الهمداني طعنة ردّه إلى معاوية جريحاً، قال: فصاح معاوية : يا أهل الشام لا تقصدوا بحربكم غير همدان، فإنهم أعداء عثمان بن عفان، فسمع بذلك سعيد بن قيس الهمداني، فجمع بني عمه من همدان و حلفائهم و مواليهم ثم حمل، و حملوا معه على جمهور أصحاب معاوية، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة^٢.

د - قاد هو و الأشر النخعي كردوسين عظيمين من أصحاب علي كأنّ و مبيض بيضهما و مبيض الكواكب، أحد الكردوسين قبائل مذحج، و الآخر همدان، فنكى هذان الكردوسان في أهل الشام نكاية شديدة، حتّى كاد أهل الشام يضعضعون. و قتل من جيش معاوية النعمان بن جبلة القضاعي، و كان من المعدودين^٣.

بن سعد ضدّ بسر بن أرطاة.

١ - صفين ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

٢ - الفتوح ج ٢، ص ٩٦ - ٩٧.

٣ - انظر الفتوح ج ٢، ص ٦٦ - ٦٧.

هـ - قَتَلَ عمرو بن الحصين السكسكي حين أراد أن يغتال الإمام علياً عليه السلام،
حيث بَدَرَهُ سعيد بطعنة ففلق صلبه^١.

و - و خرج بسر بن أرطاة الفهري، و في يده راية سوداء لمعاوية - و كان من
فراعة الشام - فخرج إليه سعيد بن قيس الهمداني، فالتقيا بطعنتين، طعنه
الهمداني طعنة في صدره أثخنه منها، فوَلَّى بسر منهزماً و وَلَّت خيله
متطيرين^٢.

ز - لَمَّا صُرِعَ عمار بن ياسر، تقدم سعيد بن قيس الهمداني في همدان، و تقدم
قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في الأنصار، و ربيعة، و عدي بن حاتم
في طيء، و سعيد بن قيس الهمداني في أول الناس، فخلطوا الجمع
بالجمع، و اشتد القتال، و حطمت همدان أهل الشام حتَّى قذفتهم إلى
معاوية^٣.

١٣ - حين رفع أهل الشام المصاحف خديعة و مكرراً، و أبطأ عنهم عِلْمُ أهل العراق
هل أجابوا إلى المودعة أم لا، أرسل معاويةً عبد الله بن عمرو بن العاص فوقف
بين الصَّفَّيْنِ و تكلم و نادى أهل العراق إلى قبول الصلح، فأجابه سعيد بن قيس
بجواب شافٍ رادع^٤.

و لمات داعي الناس الى الصلح بعد رفع المصاحف قال علي عليه السلام: إِنَّمَا فَعَلْتُ مَا

١ - انظر الفتوح ج ٢، ص ٢٨، و صفين ص ٢٧٤، و مختصر تاريخ دمشق ج ١٩، ص ١٩٩، و
أنساب الأشراف ج ٣، ص ٩٨، و فيه أن اسمه ابن الحضرمي.

٢ - انظر الفتوح ج ٢، ص ٨٨.

٣ - مروج الذهب ج ٣، ص ٣٩٢.

٤ - انظر صفين ص ٤٨٤.

فعلتُ لَمَّا بدا فيكم الخور والفَسَل، فجمع سعيد قومه ثم جاء في رجاجة كأنها ركن حصير... فقال سعيد: ها أنذا و قومي لا نراذك ولا نَرُدَّ عليك، فمرنا بما شئت، قال: أما لو كان هذا قبل رفع المصاحف لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي قبل ذلك، ولكن انصرفوا راشدين، فلعمري ما كنت لا عرّض قبيلة واحدة للناس^١.

١٤ - كان أحد الموقعين الشهود في كتاب الصلح من أصحاب الإمام علي عليه السلام العشرة^٢، فإنه رضي بما رضي به إمامه تحت الضغوط والإجبار.

١٥ - و عند ما بانّت للناس مؤامرة الحكمين و فعل عمرو بن العاص ما فعل، قام سعيد بن قيس الهمداني، فقال: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه، و ما ضلّاكما بلازمنّا، و ما رجعتما إلّا بما بدأتما، و إنا اليوم على ما كنّا عليه أمس^٣.

١٦ - لما كان من أمر الحكمين ما كان، و عزم علي عليه السلام على العودة إلى صفّين، بعث إلى ابن عباس، فأرسل إليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف و مائتين مقاتل، فقال علي عليه السلام لأهل الكوفة: ليكتب لي رئيس كل قبيلة ما في عشيرته من المقاتلة، فقام إليه سعيد بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين سمعاً و طاعة، أنا أول الناس أجاب ما طلبت^٤.

١ - صفين ص ٥٢٠.

٢ - انظر أنساب الأشراف ج ٣، ص ١٠٩، و الكامل في التاريخ ج ٣، ص ٣٢٠. و انظر صفين ص ٥٠٦ - ٥٠٧ فإن عددهم أكثر من عشرة بكثير.

٣ - صفين ص ٥٤٧، و الفتوح ج ٢، ص ٢١٢.

٤ - تاريخ الطبري ج ٦، ص ٤٥، و الكامل في التاريخ ج ٣، ص ٣٤٠.



١٧ - لما أبلغ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بغارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، واستشهاد حسان البكري، دعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة بثمانية آلاف، وأمره أن يتبع ذلك الجيش حتى يخرج من أرض العراق، ففعل سعيد ذلك^١.

١٨ - حين أغار بسر بن أرطاة على اليمن وقتل ولدي عامله عبيد الله بن عباس، غضب علي عليه السلام وخطب الخطبة بعد الخطبة، يحث الناس على الجهاد ويؤيخهم على التقاعد والتخاذل، وطلب منهم إطاعته والصبر معه في خطواته الجبارة، حتى إزالة معاوية عن الشام، فقام سعيد بن قيس أول الناس مصرحاً بإطاعته المطلقة هو وقومه، فقال عليه السلام: صدقتم جزاكم الله خيراً^٢.

١٩ - وبايع الناس الإمام الحسن عليه السلام، فعلم معاوية باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام فجمع جموعه وتحرك نحو العراق، فتحرك الإمام الحسن عليه السلام ووجه حजर بن عدي الكندي إلى العمال يأمرهم بالجد والاستعداد إلى أن يمر بهم، وأتى سعيد بن قيس إلى الإمام مصرحاً باستعداده للقتال ونصرته، قائلاً: اخرج فعسكر نسر معك، فخطب الإمام الحسن الناس وحضهم على الجهاد^٣.

٢٠ - جعله الإمام الحسن عليه السلام ثاني مستشار لابن عمه عبيد الله بن العباس حين أمره على اثني عشر ألف مقاتل وأمرهم بالمسير لقتال معاوية، فقال لعبيد الله بن

١ - انظر الغارات ص ٣٢٤ - ٣٢٥، والفتوح ج ٢، ص ٢٢٣، وتاريخ اليعقوبي ج ٢، ص ١٩٦، و أنساب الأشراف ج ٣، ص ٢٠٣، وتاريخ الطبري ج ٦، ص ٧٨.

٢ - انظر الغارات ص ٤٣٩.

٣ - انظر أنساب الأشراف ج ٣، ص ٢٨٠، ومقاتل الطالبين ص ٦٠، وشرح النهج ج ١٦، ص ٣٨.

العباس: واستشر قيس بن سعد وسعيد بن قيس الهمداني، واسمع منهما ولا تقطع أمراً دونهما... فإن أُصِبتَ فالأمير قيس بن سعد، فإن أصيب فسعيد بن قيس^١.

٢١- ولما نفر الخوارج والمنافقون وجواسيس معاوية بالإمام الحسن عليه السلام في ساباط المدائن، دعا عليه السلام ربيعة وهمدان وفيهم سعيد بن قيس فأطافوا به يمنعونه ممن أراد^٢.

بقي شيء:

وهو أنه وردت رواية مفادها أنَّ سعيد بن قيس كان من المتربصين يوم الجمل، ولم يشارك ولم يقاتل في جانب صفوف الإمام علي عليه السلام، وأنَّ الإمام وبَّخه على ذلك بعد رجوعه من الجمل.

قال نصر بسنده عن الشعبي: أنَّ سعيد بن قيس دخل على علي بن أبي طالب فسلم عليه، فقال له علي: «وعليك السلام وإن كنت من المتربصين». فقال: حاش لله يا أمير المؤمنين لست من أولئك، قال: فعل الله ذلك^٣.

وقال السيد الأمين رحمته الله في أعيانه بعد أن نقل النصَّ الآنف: أقول: ينبغي أن يكون ذلك قبل حرب الجمل فإنَّه في حرب الجمل كان مع علي عليه السلام ولم يكن متربصاً، ولعلَّ ترتبصه كان قبل حرب الجمل، والله أعلم^٤.

١- أنساب الأشراف ج ٣، ص ٢٨١، ومقاتل الطالبين ص ٦٢، وشرح النهج ج ١٥، ص ٤٠.

٢- انظر أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٦، وشرح النهج ج ١٥، ص ٤١، و تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.

٣- صفين ص ٧.

٤- أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٣.

و سَكَتَ الأستاذ عبدالسلام محمد هارون محقق كتاب صفين عن ذلك مع أنه ذكر في مقدمته أنه عارض الكتاب بالنسخة المستخرجه من شرح ابن أبي الحديد^١، وقد فعل في موارد أخرى من الكتاب أمثال ذلك و نَقَصَ بعض النصوص التي في نسخة ابن أبي الحديد من صفين مع أنه أخذ على نفسه ذكرها وجعلها بين معوقتين.

هذا مع أن النص في شرح النهج نقلا عن نصر هكذا: «قال نصر: و دخل عليه سعيد بن قيس الأزدي»^٢... إلى آخر النص، و ذلك صريح في أن المترئص شخص آخر غير سعيد بن قيس الهمداني، فإنَّ الأزد بجميع فروعها - أزد شنوءة، و أزد عمان، و أزد الحَجَر - تختلف عن همدان^٣، و هذا واضح لا غبار عليه.

و لعلَّ هذا التشابُه في الاسم و اسم الأب هو الذي أوقع البلاذري في الغلط فرجح بقاء سعيد بالكوفة و عدم مشاركته في حرب الجمل كما تقدّم^٤. لأنَّ كثيراً من المؤرخين ذكروا مشاركة سعيد و قيادته لحمير و همدان، و عقره الجمل فيمن عقروه، منهم الدينوري المعاصر للبلاذري، و المفيد و ابن شهر آشوب و ابن أبي الحديد، فإنكار مشاركته ممّا لا وجه.

هذا و حصل التباس آخر في اسم شاعرنا و نَسَبِهِ، فترجمه المرحوم الشيخ علي النمازي تحت عنوان «سعيد بن قيس بن معرّة الأرحبيّ الهمداني»^٥. و يظهر من المصادر التي ترجمه من خلالها أن الذي أوقعه في هذا الالتباس أمران :

١ - انظر مقدمة كتاب صفين (صفحة ل).

٢ - شرح النهج ج ٣، ص ١٠٦.

٣ - انظر عجالة المبتدي و فضالة المنتهي ص ١٠ - ١١ و ١٢٥.

٤ - انظر ما مرّ عن أنساب الأشراف ج ٣، ص ٣٢.

٥ - مستدركات علم رجال الحديث ج ٤، ص ٧٤.

أولهما: ما وقع في كتاب صفين من قوله: «و سعيد بن قيس بن مرة الهمداني على همدان ومن معهم من حمير»^١. حيث سقط عنده اسم «زيد» جد سعيد، و تصحّف اسم والد جدّه «مرّب» بـ «مّرة» كما تقدّم في نسبه.

وثانيهما: ما وقع في خصال الشيخ الصدوق، من قول أمير المؤمنين لرأس اليهود، شارحاً له ما وقع في النهروان وقبلها وبعدها، حيث قال: فخرجتُ حتّى قطعت إليهم دجلة، أوّجّه السفراء والنّصحاء وأطلب العتبي بجهدي، بهذا مرة وبهذا مرة - وأوماً بيده إلى الأشر، والأحنف بن قيس، وسعيد بن قيس الأرحبي، والأشعث بن قيس الكندي^٢...

فظن الشيخ النمازي رحمه الله أنّهما شخص واحد، مع أنّ الواقع ليس كذلك، لأنّ كونه أرحبياً يعني أنّه من ولد «أرحب بن دعام بن مالك بن معاوية بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان»^٣، مع أنّ سعيداً - كما مرّ عليك - من ولد «معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان»، فإن عماد همدان من ولد «بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان» و «حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان»، فالأرحبي يلتقي مع سعيد عند «جشم بن خيران» وعلى ذلك فهم أولاد عمومة، ولا يمكن أن يكونا شخصاً واحداً.

اللهمّ إلّا أن يقال أنّ سعيداً من أرحب وأنّ النسابين غلطوا في نسبته إلى حاشد بن جشم، وهذا احتمال بعيد جدّاً جدّاً.

هذا، مع أنّ الرواية وردت بنفس السند عند الشيخ المفيد، بلفظ «بهذا مرة وبهذا

١ - صفين ص ١١٧.

٢ - الخصال ص ٣٨٢ / باب السبعة - الحديث ٥٨.

٣ - انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٩٦.



مرة، وأوماً بيده إلى الأشتر والأحنف بن قيس أو سعيد بن قيس الكندي^١. وهذا ما يؤكد احتمال الخطأ في لقب سعيد .

و خلاصة الكلام هو أنهما إما أن يكونا شخصين : «سعيد بن قيس الهمداني» و «سعيد بن قيس الأرحبي» و يكون الأول غير الثاني، وإما أن يكون قد حصل الغلط في «سعيد بن قيس الأرحبي»، و على كلا التقديرين فلا يمكن أن يكون سعيد بن قيس الهمداني شاعراً أرحبياً، فلا وجه لما صنعه الشيخ النمازي رحمته الله.

روايته :

يعدّ سعيد بن قيس من التابعين القليلي الرواية؛ وذلك لانشغاله في أيام خلافة أمير المؤمنين عليه السلام - وربما قبلها - بأحداث الحروب و التقلبات السياسية، وكذلك في أيام خلافة الإمام الحسن عليه السلام، ثم ابتلائه بعد ذلك بسلطة الأمويين الجائرة التي حاولت طمس كلّ ما يمتّ للنبي و علي و أهل البيت بصلة.

و مع ذلك فقد وصلتنا الرواية عن سعيد عند الشيعة و السنة، و هي عند الشيعة الإمامية أعمق مضموناً فكرياً، و ألصق بواقع الاعتقاد الإسلامي.

فقد روى سعيد بن قيس حديث الائمة الاثني عشر عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، روى ذلك الشيخ الصدوق، عن أحمد بن الحسن القطان، قال : حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال : حدثنا الفضل بن يعقوب، قال : حدثنا الهيثم بن كميل، قال : حدثنا زهير، عن زياد بن خيثمة، عن سعيد بن قيس الهمداني، عن جابر بن سمرة، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله :

لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها، ظاهرةً على عدوّها، حتى يمضي اثناعشر خليفة كلّهم من قریش.

فأتيته في منزله، قلت: ثمّ يكون ماذا؟ قال: ثمّ الهرج^١.

فهذه الرواية من سعيد تعصّدُ إيمانه بالأئمة عليهم السلام و على رأسهم الإمام علي عليه السلام كما مرّ وابنه الحسن، حيث أثبت سعيد بما لا يقبل الشكّ ولأه وإخلاصه لهما وإيمانه المطلق بإمامتهما، كما تدلّ على أنّه كان يؤمن بالأئمة الاثني عشر بدءاً من علي وانتهاء بالامام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

وفي مناقب آل أبي طالب نقل هذه الرواية: الأعمش، عن أبي إسحاق (السيّعي)، عن الحارث بن سعيد بن قيس، عن علي بن أبي طالب عليه السلام و عن جابر الأنصاري؛ كليهما عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: أنا واردكم على الحوض،

و أنت يا عليّ السّاقى

و الحسن الرائد

و الحسين الآمر

و علي بن الحسين الفارط

و محمّد بن علي النّاشر

و جعفر بن محمّد السّائق

و موسى بن جعفر محصي المحبّين و المبغضين و قامع المنافقين

و علي بن موسى مُزيّن المؤمنين

١ - الخصال ص ٤٧٠ - ٤٧١ / باب الاثني عشر - الحديث ١٨، و عنه في بحار الأنوار ج ٣٦،



و محمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم
و علي بن محمد خطيب شيعتهم و مزوجهم الحور
و الحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به
و الهادي المهدي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء و
يرضى^١.

و مع ملاحظة أنّ الرجالين لم يترجموا لشخص باسم «الحارث بن سعيد بن قيس»، و ملاحظة أنّ أبا إسحاق السبيعي من الراوين عن الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، فنحتمل قوياً أنّ «عن» تصحّفت بـ«بن»، و أنّ أصل السند هو «عن الحارث عن سعيد بن قيس»، و يعضّد هذا الاحتمال اختصاص الحارث الأعور بنقل ما يتعلّق بالإمامة و تبخّرة في النقل عن أمير المؤمنين و إمامته و امامة أولاده عليه السلام^٢.

و قد كان سعيد حريصاً على التعلّم من عليّ أفكاره و أخلاقه و سيرته، التي تعكس المفاهيم الإسلامية الحقّة، و كان علي عليه السلام حريصاً أيضاً على تعليم أصحابه الخُلص ما ينفعهم في دُنياهم و أخراهم :

روى الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان، عن أبي حمزة، عن سعيد بن قيس الهمداني، قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحرّكت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟! (فيه تقرير: أي تكتفي بلبس القميص و الإزار من غير درع و جُنّة في مثل هذا الموضع؟)

١ - مناقب آل أبي طالب ج ١، ص ٢٩٢.

٢ - انظر التحف في توثيقات الطرف ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

فقال عليه السلام: نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظ وواقية معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كلّ شيء^١.

وذكر الكوفيون أنّ سعيد بن قيس الهمداني رأى عليّاً عليه السلام يوماً في شدّة الحرّ في فناء حائط، فقال: يا أمير المؤمنين بهذه الساعة؟ قال: ما خرجت إلا لأعين مظلوماً أو أغيث ملهوفاً، فبينما هو كذلك إذ أتته امرأة قد خلّج قلبها لا تدري أين تأخذ من الدنيا حتى وقّعت عليه، فقالت: يا أمير المؤمنين ظلمني زوجي و تعدّى عليّ و خلّف ليضربني فاذهب معي إليه.

فطأ طأ عليه السلام رأسه ثمّ رفعه وهو يقول: لا والله، حتّى يؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع، و أين منزلك؟

قالت: في موضع كذا وكذا.

فانطلق عليه السلام معها حتّى انتهت إلى منزلها، فقالت: هذا منزلي.

قال: فسلم عليه السلام، فخرج شابّ عليه إزار ملوّن، فقال: اتق الله فقد أخفت زوجتك.

فقال: وما أنت وذاك؟! والله لأحرقنّها بالنار لكلامك.

قال: وكان عليه السلام إذا ذهب إلى مكان أخذ الدرة بيده والسيف معلق تحت يده، فمن حلّ عليه حُكّم بالدرة ضربه، ومن حلّ عليه حُكّم بالسيف عاجله، فلم يعلم الشاب إلا وقد أصلت السياف وقال عليه السلام له: أمرك بالمعروف و أنهاك عن المنكر، و تردّ المعروف؟! تُبّ و إلا قتلتك.



قال : و أقبل الناس من السَّكك يسألون عن أمير المؤمنين عليه السلام حتى وقفوا عليه، قال: فأسقط في يد الشابّ و قال: يا أمير المؤمنين اعفُ عني عفا الله عنك، و الله لأكوننَّ أرضاً تطأني.

فأمراها عليها السلام بالدخول إلى منزلها، و انكفأ و هو يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ مَنْ أمر بصدقة أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس﴾^١، و الحمد لله الذي أصلح بي بين امرأة و زوجها، يقول الله تبارك و تعالى: ﴿و لا خير في كثير من نجواهم إلاّ مَنْ أمر بصدقة أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس و من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾^٢.

و أما في كتب أبناء العامّة، فقد ذكره ابن حبان في ثقافته، قائلاً: سعيد بن قيس الهمداني، يروي عن حفصة زوجة رسول الله، و روى عنه أبو إسحاق السبيعي^٣. و نصّ البخاريّ عليه قائلاً: سعيد بن قيس الهمداني، سمع حفصة، روى عنه أبو إسحاق^٤.

و قال ابن أبي حاتم الرازي: سعيد بن قيس الهمداني، روى عن حفصة و محمّد بن الأشعث، روى عنه أبو إسحاق الهمداني (السبيعي) و زيد بن أبي أنيسة، سمعتُ أبي يقول ذلك^٥.

لكنّ صنيع الرازي يظهر أنّه غير صحيح، لأنّه خلط بين شخصين باسم «سعيد بن

١- النساء، الآية ١١٤.

٢- الاختصاص ص ١٥٧.

٣- الثقات ج ٤، ص ٢٨٨ / الترجمة ٢٩٤٣.

٤- التاريخ الكبير ج ٣، ص ٥٠٧ / الترجمة ١٦٨٧.

٥- الجرح و التعديل ج ٤، ص ٥٥.

قيس الهمداني، في حين أن البخاري وابن حبان فرقا بينهما؛ قال محقق كتاب الجرح والتعديل :

فرّق البخاري وابن حبان بين الراوي عن حفصة وعنه أبو إسحاق، وبين الراوي عن ابن الأشعث وعنه ابن أبي أنيسة، وذكر ابن حبان الأوّل (يعني شاعرنا) في التابعين، وقال «عن حفصة زوجة رسول الله كذا، وصنيع المؤلف (يعني الرازي) كأنه يُشعرُ بأنّها حفصة بنت سيرين^١. وذلك لأنّه لم يقيدها بـ«زوجة رسول الله» كما صنع ابن حبان.

سعيد شاعراً :

كان سعيد بن قيس الهمداني مضافاً إلى مامرّ من علوّ نسبه، وكونه من سادات همدان ومن سلالة ملوكها، ومضافاً إلى مامرّ من حُسن سياسته وبراعته ودهائه، وإجاداته للخطط الحربية وتمتّعه بمقدّرات قتالية عالية تكاد تضاهي مقدرة الأشر النخعي، مضافاً إلى كلّ ذلك كان يجمع فنوناً من البلاغة والأدب، ويغرّد بالشعر العربيّ العلويّ الصّدّاح، وترنم بروائع الخطب وبدائع الكلمات.

أمّا شعره، فقد كان قدم السبق للسيد محسن الأمين رحمته الله حين نصّ على شاعريته قائلاً: كان سعيد بن قيس الهمداني فارساً شجاعاً شاعراً من خُلص أصحاب أمير المؤمنين، شهد معه الجمل وصقّين^٢.

وللأسف لم ينص الآخرون على شاعريته ولم يشيروا إلى أشعاره الجميلة الطافحة بمعاني العظمة والكبرياء، والإمامة والولاء، والتي تحمل معها حقائق

١ - حاشية الجرح والتعديل ج ٤، ص ٥٥ - ٥٦.

٢ - أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٣.



تاريخية و عقائدية، و وثائق معاصرة لبيان ما كان في تلك الظروف من ملابسات.
لقد وصلنا نزرٌ قليل من شعر سعيد بن قيس، لا يتجاوز تسع مرقّعات، بين قصيدة
ومقطوعة و أرجوزة و أبيات، اثنتان منها على البحر الطويل، و اثنتان على بحر
الوافر، و خمسٌ منها أراجيز.

و هذا العدد القليل من الشعر و إن كان لا يروي غليل المتعطّش للشعر العلوي،
لكنه يُرثَشَفُ منه قطرات تزيد الشوق و تبلُّ شفاه الظامئين، و رُبَّ قصيدة عدلت
قصائد، و قصائد فاقت دواوين.

و من تلك القصائد الوثائقية الخالدة هي قصيدة سعيد بن قيس ذات الأبيات
الثلاثة عشر، و التي بعنوان «أصبحت راجعا»، فإنّها تعدُّ بحقّ من القصائد الخالدات
في شعر تلك المرحلة الحسّاسة من تاريخ الإسلام و الدولة الإسلامية، و مرحلة
الصّراع العلوي الأموي.

القصيدة تبتدئ في أبياتها الثلاثة الأولى بعتاب لاذع و توبيخ شديد يوجّهه
الشاعر لرمز من رموز معاوية و عنصر فعّال من عناصر جيشه و حكومته، و هو
شرحبيل بن السمط الكندي، فيلقّي عليه اللوم لانحرافه عن جادة الصواب، و عن
مبايعة الإمام أمير المؤمنين، و انخراطه في صفوف معاوية، الذي حقّره الشاعر حين
عبّر عنه بابن هند، التي كانت من ذوات الرايات بمكة، و كانت المؤبّة على النبي، و
التي أكلت كبد حمزة و هو شهيد يوم أحد، ثم هجّن شاعرنا سعيد تمسّك شرحبيل
و أخذه بمعاوية، و إذكاء نيران الفتن و تهيج الناس لحرب علي بن أبي طالب، و
كيف أنّه تبع طليقاً من طلقاء الفتح، و ناصبياً من التّواصب المعادين لمحمد و آل
محمّد، و ترك علي بن أبي طالب، المهاجر التقي صاحب الشأن العظيم الذي تقرّ له
الناس بالتقدم و السبق، و هو في كلّ ذلك يقدّم ارتداد شرحبيل أوّل شيء، و يعتبر
هذا العمل رجوعاً على العقب و خروجاً عن جادة الصواب، و انحرافاً عن مسلك



الإمامة الإلهية و الخلافة الاسلامية بكلّ معانيها، داعياً هذا الرّمز الأموي إلى النظر و التفكير في هذا الاضمحلال الديني و التفریط بالمفاهيم و المقدّسات الإسلامية.
كل هذه الإرهاصات و المعاني التي كانت تحيك في صدره قالها في أبيات ثلاثة، هي :

أيا شرح يا بن السمط أصبحت راجعا على العقب فانظر في رجوعك للعقب
أخذت ابنَ هند من علي و بئس ما أخذت و فيها منك ذاكية الذهب
أخذت طليقا ناصبا بمهاجر بقي له في الناس خطب من الخطب

ثم ينتقل في المقطع الثاني من القصيدة لردّ ما أثاروه من شبهة قتل علي عليه السلام لعثمان بن عفّان، لما عجزوا كل العجز عن أن يوردوا ولو ذنباً واحداً أو مؤاخذه واحدة يؤاخذ بها الإمام علي، فينفي الشاعر نفياً قاطعاً - بعد أن ينفي علمه الشخصي - بأن يكون لعلي ذنب في قتل ابن عفّان، لأنّ الإمام عليا اعتزل الناس ولم يكتف بلزوم بيته فقط بل لزم قعربيته، مبالغة في دفع الشبهة المثارة و التي علم الإمام عليه السلام من قبل أنّ الأمويين سيّخذونها ذريعة لقتاله و نقض بيعته، فكان الإمام عليه السلام إذن ليس له أيّ ذنب في خِصَم تلك الحوادث و ذلك التيار الغاضب، كل ذلك قرره الشاعر حين قال :

على غير شيءٍ كان منه علمته ولم يك منه في ابن عفان من ذنب
وما كان إلّا لازماً قعربيته قليل التجني في الحوادث و الغضب

ثمّ ينتقل الشاعر في مقطعه الثالث ليتناول بيان موضوع مقتل عثمان و كيفية تهافت الصحابة على مبايعة أمير المؤمنين، تلك البيعة الجماهيرية التي لم يشهد لها التاريخ نظيراً، و التي وصفها الإمام علي عليه السلام بقوله: «فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع إليّ، ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وطىء الحسان و شق عطفائي،

مجتمعين حولي كريضه الغنم»^١.

فيقول الشاعر أنَّ الموت رمى عثمان ودخل عليه في جوف داره - ولم يمت في سوح القتال ولا في الفتوح الإسلامية ولا في المسجد - إشعاراً منه بأنَّ إحدائات عثمان هي التي ساقته إليه الموت وجعلت قتله ينتكت عليه، ومن بعد ذلك لم يطلب الإمام علي الخلافة بالسيف، ولا انتزعها منهم قسراً - مع أنَّها حقُّه الشرعي - بل بايعه مَنْ هم حَسْبُ كُلِّ مؤمن ومسلم يريد أن يَسْلَمَ له دينه و دنياه، وهم صحاب رسول الله الحقيقيون، الملازمون له في كل موطن من موطنه - لا الذين فروا عنه في الزخوف، ولا الذين نافقوا، ولا الذين أعلنوا إسلامهم للطمع في المناصب والأموال - ومن الطبيعي أن تكون تلك الكوكبة النيرة - التي تضم أمثال عمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، وقيس بن سعد، وأبي أيوب الأنصاري، وغيرهم من كبار الصحابة و عيونهم - هي صاحبة العقد والحلِّ، والقول الفصل لا بنو حرب - بل بنو كرب - الذين جَرُّوا على الإسلام الدواهي والويلات. ولعل في تعبير الشاعر عنهم بـ«بنو كرب» دقة و ظرافة و بلاغة لا يدرك جماليتها إلَّا من خبر أساليب العرب و فنونها في الكلام، فاسمعه وهو يقول :

إلى أن رماه الموت في جوف داره فبايعه القوم الذين همُّ حسبي
صحابُ رسول الله في كل موطن أولئك أولى بالهدى من بني كرب

و المقطع الرابع يوليه الشاعر أكبر اهتمامه و أطول نفسه في القصيدة بالنسبة لباقي المقاطع؛ لأنَّه يمثل لبَّ القصيدة وداعيتها ومحورها الذي فجَّر الأحاسيس و خلق الجوّ الشعري المناسب، حيث إنَّ انحراف شرحبيل ماهو إلَّا نعمة من الله عليه لسوء اختياره، و ما هو إلَّا تبعية هذا الذيل الذليل لشهادات مزوَّرة من شهود كاذبين

غير مأمونين.

فذكر الشاعر مضمون قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾، وأن شرحبيل كان في نعمة من الله، فلما غيّر ما بنفسه غيّر الله ما به، وذلك حين لقي شهود الزور الذين شهدوا عنده بأنّ علياً هو الذي قتل عثمان مع أنهم لم يكونوا في المدينة ولا حاضري مقتل عثمان، فصدّقهم شرحبيل مع أنهم ما عاينوا ما شهدوا عليه، ولو كانوا قد عاينوه لَمَا شهدوا بما هو الحقّ لما ران على قلوبهم من طغيانهم و عمى بصائرهم، بل إنهم لم يسمّعوا الأنباء على وجهها لامن بعيد ولا قريب، كل هذا ذكره شاعرنا وأضاف اللفتة الذكية التي نبّه عليها وهي «تلفيق الخدعة»؛ إذ علم أنّ الأمر كلّ مجرّد تمثيلية أحكم أدوارها معاوية، ولعب فيها الشهود أدوارهم المناطة بهم، وكان شرحبيل ضحية تلك اللعبة، لقد نبه سعيدٌ شرحبيل على هذا دون جدوى، لأنّ معاوية وأصحابه ممّن لهم عيون لا يبصرون بها و آذان لا يسمعون بها و قلوبٌ لا يعقلون بها.

بعد كل ذلك ينتقل الشاعر إلى خاتمة قصيدته ببيتين تطفح عليهما دلالات اليأس، وانفعالات تقديم الرمز الشر «معاوية» على الرمز الخير «علي»، وكيف أنّ ابن هند استغلّ من صحاب محمد رجاجة رُذالاً من الناس همّهم المطامع الدنيوية و الأكل و الشرب، و رَضِيَ بهم بدلاً عن الصحاب الحقيقيين للرسول محمد ﷺ.

و في هذين البيتين نبوءة بعدم اعتداء المخاطب و عدم انفتاحه على الموعظة الناصحة، و تعجّب يائس من المعادلة البعيدة عن الإنسانية التي خلقها معاوية و سخر من خلالها قلوب الشاميين و عقولهم.

و إذا رأينا بحر القصيدة وجدناه البحر الطويل الذي أحاط القصيدة بإطار موسيقي محكم، فانه بحرٌ جادٌ سخي، و هو بحر لا يعطي قياده إلا للشعراء الكبار المتمكنين من أدواتهم الفنية، و الممثلين بالموهبة المتفجرة، فهو بحر أخذ من حلاوة «الوافر»

دون انبتاره، و من رقة «الرمل» دون لينه المفرط، و من ترسل «المتقارب» دون خفته و ضيقه، كما سلم من جلبة «الكامل» و كزازة «الرجز»، و أفاده الطول أبهة و جلالة. و يلاحظ من أجواء القصيدة أن الشاعر سعيداً كان منفِعلاً أشد الانفعال، و الذي عكس هذه الحالة الانفعالية أننا نراه لم يصرّع المطلع كعادة الشعراء، بل بدأه رامياً المخاطب بالرجوع على العقب.

و كان من الطبيعي في هذا الجو الساخن أن يدخل الشاعر في موضوع قصيدته مباشرة، متخطياً أسلوب البداية الغزلية و الطلولية، و أن ينقض على الخصم انقضاضاً مفاجئاً يرعب السامع.

و قد بنى سعيد نظام قصيدته على حرف الباء الغني بالرنين، و هو صوت شديد مجهور يكون ممّا بين الشفتين على حدّ تعبير سيبويه، و زاوجه بالكسرة التي تعتبر أشدّ الحركات عنفاً و أقواها وقعاً، و قد توزع حرف الباء توزيعاً رائعاً أغنى النظام الهندسي للقصيدة، فقد شُحنت بالباءات المتنوعة - رفعاً و فتحاً و كسراً و سكوناً - بشكل متناسب متناسق.

فهى في البيت الأول موزّعة في أربعة أماكن متناسبة تماماً، كأنها أعمدة بناء رباعيّة يقوم عليها صرّح شامخ. و في البيت الثاني مرّتين.

و في الثالث أربع مرات، بقاءً متقارباً في الصدر، و مثلهما في العجز. و في الرابع و الخامس و السادس، كلّ مرتين.

و في السابع أربع مرات، و حشدت ثلاثة منها في العجز، بحيث شكلت قعقة بائية محكمة.

و ما أن مرّ البيت الثامن بباءين، حتّى جاء عجز البيت التاسع بثلاثة باءات موزّعة

بشكل هرمي فيه.

و في العاشر مرتين.

و جاءت الباءات في البيت الحادي عشر ثلاث مرات، و احدة في الصدر، و اثنتان في العجز.

و استعمل في البيت قبل الأخير باء «ثبير» في الصدر و باء «العجب» في القافية. و اختتم القصيدة بالبيت الثالث عشر، و فيه خمسة باءات، اثنان منها في الصدر، و ثلاث موزعة بفواصل متناسبة في العجز، و انتهت القصيدة بالأوج الغاضب بخمسة باءات مزدحمة.

أضف إلى كل هذا تكريسه الياء بشكل كبير في أبيات القصيدة، و هو صوت انتقاليّ تتأثر به الشفتان فتنفجران معاً، و لذلك صرّح ابن جني أنّ الحروف التي اتسعت مخارجها هي الألف ثم الياء ثم الواو، و أنّ المخرج إذا اتسع انتشر فيه الصوت و صُلِبَ.

و في ضوء هذا نلمس ملامح الغضب من خلال الحروف التي استفاد منها في قصيدته هذه، مضافاً إلى الكلمات الحاوية للأحرف المشددة مثل «عليّ» «اللّهب» «تقيّ» «التجنيّ» «غيّرت» «الرّبّ» «لّفّقوا» «صدّقت» «لُبّ» «رويّة» «المقدّم» «محمّد»، و غيرها من الكلمات .

و رغم أنّ شاعرنا استعمل النظام المغلق في الجملة - مقابل النظام المفتوح الذي يستعمل الكلمات المبتسمة - نراه يحذق في استعمال المعادل الفنيّ للكلمات ذات البعد الشّريّ، فيجعل مقابلها ما يحمل المعنى الخيريّ في القصيدة.

فقد استعمل سعيد ما أمكنه ممّا تتفوّز منه الطبيعة الحرة و تشمئز منه النفس المسلمة، مثل «الرجوع على العقب» و ما فيه من إحياء بالارتداد، و «ابن هند» و ما



توحيه من لؤمٍ ومضغٍ للحوم الموتى و تعطش للدماء، و «الطلق»، و «الناصب»، و «ابن عفان» و «التجني» و «بني كرب» و «تغيير النعمة» و «تلفيق الخدعة» و «العظيمة و الكذب» و «العُجب» و «الرجاجة الراضين بالأكل و الشرب».

استعمل كل هذه الدنيات، و جعل مقابلها معادلاً معنوياً و فنياً لتوازن الصورة الشعرية و الطرح الفكري، فاستعمل أعلى ما يوحى بالخير من الكلمات التي لها رصيّد شعوري في نفس الإنسان المسلم، مثل «عليّ» و ما معه من معنى التقوى و البطولة و العبقريّة، و «المهاجر» الذي أربع المشركين، و مثلها «تقي» و «صحاب رسول الله» و «صحاب محمد» و «الهدى» و «سبحان من أرسى ثبيراً» و «الرأس المقدم» و ماشابها.

و قد دافع الشاعر هنا عن «رمز الخير» الإمام علي عليه السلام مخاطباً من يقطن في مكان ينعدم فيه هذا الرمز و يحل محله رمز الشر السلطوي، دون أن يذكر الشاعر كونه وصياً و إماماً منصوباً عليه، بل اكتفى بوضع إصبع البحث على ما يثيره معاوية من شكوك و يدعي أنه يريد إعادة الأمر شورى بين المسلمين، فكرّس كل جهده الشعري في هذا المضممار على المسلّمات عند الجميع و التي لا يتنازع فيها مسلمان، مثل كونه مهاجراً تقيّاً، مُبايعاً من قبل الأصحاب بالإجماع، رأساً مقدماً في كلّ الأمور، مضافاً إلى براءته من دم عثمان أشدّ البراءة مما يلغي المبرّر الذي قد يُدعى لقتاله و نكث بيعته.

و على كل حال، فهي القصيدة، و ها هي براعتها، و ها هو شاعرها و أسلوبه الفني حاكياً عن عبقرية سعيد و شاعريته و اقتداره في سوح الشعر و الأدب.

و أما أشعاره الأخرى فقد امتازت بالمتانة و حبك الجمل، كما اتّسمت بخلوها تماماً من الحوشي و الغريب، و برغم أنّ الكثير منها ارتجلت ارتجالاً، نراها متزنة المعاني دقيقة في طرح الفكرة، و هذه المفردة المعنوية يمكن أن تعدّ من خصائص

ومميزات الأدب الشيعي في بداياته و حتى اليوم؛ لأنّ صدق العاطفة الجياشة، و الولاء للعناصر المتفردة في كمالها في الكون، و التشرب بمعاني القرآن و السنة النبوية و سيرة الأئمة، مضافاً إلى حالة الاضطهاد المستمر التي عانى منها الشيعة و رجالهم على مرّ العصور، خلّق عندهم حالة توعوية و ثقافية سرت في عروقهم و تشربت بدمائهم، فانفردوا بحالة الخلق المفاجيء للقطعة الأدبية - شعرية أو نثرية - مقرونة بمتانة الحجة و دقة الفكرة المطروحة، و حذافة استعمال المصطلح الشيعي في موقعه المناسب، حتى في أخرج الظروف و أشدّها ارتجالاً.

و من هنا نلاحظ استعمال سعيد في شعره الحربيّ الارتجالي معنى «الوصي» في الإمام عليّ عليه السلام، و ذلك عند تحرّك قطعات الجيش العلويّ لحرب الجمل، قائلاً:

قل للوصي أقبلت قحطانها

فهنا كان بوسعه أن يقول «قل لعليّ» أو «قل للرئيس» مثلاً فيؤدّي المعنى دون أن يختلّ الوزن، على أنّ قوله «قل لعلي» لعلّه أسهل بكثير من غيره، لأنّ مناداة الشخص باسمه ممّا لا مؤونة فيه، لكنّ شاعرنا الشيعي الصّلب عدل عن كل ذلك و عبّر بـ «الوصي» لما في ذاته و فكره و واقعه من اعتقاد بوصاية عليّ التي حباه بها رسول الله ﷺ عن الله، فكانت لفظة «الوصي» تساوي تماماً في فكر سعيد - بل الفكر الشيعي كلّ - لفظة «علي» فلذلك تبادرت و أسرع في شعره.

و قد مرّ علينا في الدواوين السابقة أنّ شعراء الشيعة غرّدوا بالوصاية و الوصيّ، و ذكروا هذه المنقبة و الفضيلة لعلي بكل فخر و اعتزاز.

و ذكر سعيد كذلك «المولى» بمعنى الأولى بالتصرّف، متقاطعاً بذلك مع الفكر الأموي السحيق طمع في أن يحرف معنى هذه اللفظة و يصرف هذه الفضيلة عن علي عليه السلام، فلذلك ذكرها سعيد بنفس المعنى الذي قاله رسول الله يوم غدير خم عند منصرفه من حجة الوداع، حين هتف قائلاً: أيها الناس ألسنّ أولى بكم من

أنفسكم؟! فقالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عادٍ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، هذا المعنى الضخم الذي يشكّل واحداً من أكبر المفترقات بين الحق والباطل، ذكره سعيد منادياً ليسمع معاوية :

ألم تَرَ أَنَّ والدنا عليّ أبو حسن ونحن له بنُونَ
وَأنا لا نريد سواه مولى وذاك الرشد والحظّ السمينُ

لقد ذكر سعيد الوصاية والمولوية لعلي، كما ذكر - بناء على أن المرقمة التاسعة له - مفخر كونه ابن عم النبي، وأوّل من أسلم، وأنه الإمام المفترض الطاعة، وهو كما مرّ عليك لا ينسى أنه البطل المهاجري الذي خرج بالفواطم وجندل أحد ملاحقيه الثمانية ولاذ الآخرون بالفرار، وأنه التقى الذي دوّخ المشركين.

١ - كتب النبي ﷺ من المدينة إلى أخيه علي عليه السلام كتاباً يأمره بالمسير إليه، و قلة التلوّم، و أرسل الكتاب مع أبي واقد الليثي.

فلما أتاه كتاب النبي ﷺ تهيأ للخروج والهجرة؛ فأعلم من كان معه من ضعفاء المؤمنين، و أمرهم أن يتسلّلوا، و يتخفّوا تحت جناح الليل إلى ذي طوى، و خرج عليه السلام بفاطمة بنت الرسول، و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، و فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، و تبعهم أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله ﷺ و أبو واقد، فجعل يسوق بالرواحل، فأعنف بهم، فأمره عليه السلام بالرفق فاعتذر بخوفه من الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أربع عليك، فإن رسول الله ﷺ قال لي - أي حين سفره من الغار - يا علي أما إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه. و أدركه الطلب قرب ضجنان، و هم سبع فوراس متلثمون، و ثامنهم مولى للحارث بن أمية، يدعى جناحاً.

فأنزل علي عليه السلام النسوة، و أقبل على القوم منتضياً السيف، فأمره بالرجوع، فقال: فإن لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً، و أهون بك من هالك.

يذكر سعيدٌ كلَّ ذلك متنغماً به، وإذا عدل عن هذه الصفات الربانية ذكره بكنيته الرائعة «أبو الحسن» «أبو الحسين» فإذا قال :

ألم تر أن والدنا عليٌّ

أتبعه بقوله: «أبو حَسَن»، هذه الكنية التي كان يفتخر بها الإمام علي إذا غضب أو

و دنا الفوارس من المطايا ليثوروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، و تَحَتَّلَه علي عليه السلام فضربه على عاتقه؛ فأسرع السيف مضياً فيه حتى مسَّ كائبة فرسه، و شد عليهم بسيفه، و هو يقول :

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه و قالوا: أغني عنا نفسك يا ابن أبي طالب.

قال: فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه، و أهريق دمه، فليتبعني، أو فليدن مني. ثم أقبل على صاحبيه، فقال لهما: أطلقا مطاياكما.

ثم سار ظاهراً حتى نزل بضجنان، فتلوّم بها قدر يومه و ليلته، و لحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، و فيهم أم أيمن مولاة الرسول ﷺ فعبدوا الله تلك الليلة قياماً و قعوداً، و على جنوبهم حتى طلع الفجر؛ فصلّى بهم علي عليه السلام صلاة الفجر ثم سار بهم، فجعلوا يصنعون ذلك في كل منزل، حتى قدم المدينة، و قد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم. ﴿الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم، و يتفكرون في خلق السموات و الارض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ إلى قوله ﴿فاستجاب لهم ربهم، أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾.

و لما بلغ النبي ﷺ قدومه عليه السلام، قال: ادعوا لي علياً، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه صلى الله عليه و آله بنفسه، فلما رآه اعتنقه، و بكى رحمة لما بقدميته من الورم، و كانتا تقطران دماً، و قال ﷺ لعلي: يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله و رسوله، و أولهم هجرة إلى الله و رسوله، و آخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك - و الذي نفسي بيده - إلّا مؤمن، قد امتحن قلبه للإيمان و لا يبغضك إلّا منافق أو كافر. (الصحيح من سيرة النبي ج ٤، ص ٨٨ - ٩٠).

إذا عرضت له مشكلة فحلّها، فكان يقول: «أنا أبو الحسن».

و هاهو سعيد يسخر من عمرو بن حصين، و محاولته الفاشلة لاغتيال عليّ عليه السلام،
ذاكراً أنه «أبو الحسين» البطل الذي تعتبر العرب الفرار عاراً إلا من سيفه، فيقول له :

أَتَطْمَعُ أَنْ تَنَالَ أَبَا حَسِينٍ بِمَعْضَلَةٍ وَ ذَا مَا لَا يَكُونُ

و من المؤكد أنّ عمرو بن الحصين كان بعيداً عن عليّ بعداً ما لمّا قتله سعيد، إذ
لو كان على مقربة من عليّ لقتله هو عليه السلام، فإنّه كان يلبس درعاً صدرّاً لا ظهر لها؛
فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين أما تخشى أن يطعنك شخص من ورائك، فتبسّم
عليّ عليه السلام و قال: لا أبقي الله عليّ إن أبقيت عليه حتى يصل إلى خلفي، و هذا بعينه
الذي أراد سعيد بقوله: «و ذا ما لا يكون» .

و المكان الذي سوّغ سعيد لنفسه فيه أن يذكر عليّاً عليه السلام باسمه فقط هو قوله :

هذا عليّ و ابن عم المصطفى

و ذلك لإثباته شَفَعَهُ بابن عمه رسول الله محمد المصطفى، فكان ذلك شافعه في
ذكره باسمه الشريف، لأنّ ذكره بذلك أكثر حيوية و لصوقاً في إيصال صورة «ابن
العم»، و إثبات لحمة النسب الكريم. و كذلك قوله في رائعته البائية مخاطباً
شرحبيل :

أَخَذْتَ ابْنَ هِنْدٍ مِنْ عَلِيٍّ وَ بئس ما أَخَذْتَ وَ فِيهَا مِنْكَ ذَاكِيَةُ اللَّهَبِ

حيث سمّى «عليّاً» في مقابل «ابن هند» - و لم يقل معاوية - لكي يتضح الفرق
واضحاً بين من اسمه دالٌّ على كل الكمالات و الصفات الحسنة، و بين من قامت
عنه إحدى ذوات الرايات بمكة، فها هنا احتاج الشاعر إلى ذكر اسمه الشريف لبيان
حجم المفارقة، و مقدار المباينة بين الطرفين المتنازعين و المتنازع فيهما.

و في مقابل هذا الإجلال والإكبار، ورسم الصورة الملائكية التي أحسن شعراء الشيعة رسمها، أجاد سعيد في تصوير الصورة المرعبة الشيطانية لخصوم الإمام علي، وما ازدحمت في ذواتهم من صور الدناءة والخسّة واللؤم، فلنسمعه يذكر معاوية بالاستخفاف والاستهانة قائلاً لشرحبيل :

أخذت ابن هند من علي وبس ما أخذت وفيها منك ذاكية اللهب
و يقول :

أخذت طليقا ناصباً...

و يقول :

أيرضى ابن هند...

كما يستخف به في سائر أشعاره فينادي :

ألا أبلغ معاوية بن حرب و رجم الغيب تكشفه الظنون

مذكراً بمساوئ حرب، و مخازي تلك السلسلة الخبيثة من النسب.

هذا، و يصفه شاعرنا «بالراعي الوسنان» الذي ضيّع جنده و أمته، و عكف على حياته الفردية و مطامعه الشخصية، و أمر عليهم بسراً و أمثاله من الدعاميص السوداء، هذا المعنى الذي تطوّر حتى أفصح به أحد الشعراء مخاطباً معاوية حين ولى يزيد على المسلمين، فقال :

فإن تأتوا برملة أو بهند نبايغها أميرة مؤمنينا

و يتلهف سعيد على خلاص معاوية من الموت، بواسطة فرسه السريع الذي أعدّه للهرب و الفرار، فيقول :

يا لهف نفسي فاتني معاويه فوق طمر كالعقاب هاويه

هذا الاستهزاء، الذي ابداع في مثله قيس بن عمرو النجاشي شاعر علي في صفين، فقال :

و نجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم و الرماح دواني
اذا قلت أطراف الرماح تنوشه مرته له الساقان و القدمان

حتى أن معاوية صار صاحب عقدة نفسية من هذا الموضوع، فراح يخلق لنفسه المبررات، و يسطر لنفسه بطولات زائفة لدفع عقدة هذا النقص الفظيع.

و بعد هذا، لا ينسى سعيد الدقة و البراعة في انتخاب الكلمات و وضعها في موضعها المناسب، ليعبر عن أهل الشام بأنهم طالبوا «ملك» و ليسوا بأصحاب دين و لا يعرفون من الخلافة إلا معنى التسلط و الغلبة بالسيف و القوة و القهر، ذلك المعنى الذي قننه معاوية بقاعدة «من غلب»^١، ذكر ذلك سعيد قائلاً:

لا هم ربّ الحِلِّ و الإحرام لا تجعل الملك لأهل الشام

هذا، و بقي أن سعيداً - و هو زعيم همدان - لم يفتنه أن يفتخر بهم و يحشّمهم و يحشدهم في صفوف الإمام أمير المؤمنين، فخر العربي الأصيل بقومه الأبطال المدافعين عن الحق، فيقول :

قل للوصيّ أقبلت قحطانها فادعُ بها تكفيكها همدانها

هُم بَنُوها وَ هُم إِخوانُها

١ - أقبل معاوية على أصحابه فقال: يا هؤلاء، أخبروني بماذا صار علي بن أبي طالب أولى بهذا الأمر مني؟! والله إني لكاتب رسول الله ﷺ، و قد كانت أختي تحت رسول الله ﷺ، و إني لعامل عمر بن الخطاب و عثمان بن عفان، و أمي هند بنت عتبة بن ربيعة، و أبي أبوسفیان بن حرب، و إن كان قد بايعه أهل الحجاز و أهل العراق فقد بايعني أهل الشام، و إن هؤلاء في الأمر سواء، و من غلب على شيء فهو له. (الفتوح ج ٢، ص ٥٥٠ - ٥٥١).

حيث يعدّ همدان بني الحرب وإخوانها الذين يقومون مقام كُـلِّ قحطان - الشَّعب العظيم - في الحرب والدفاع عن مبادئ الإمام علي التي هي مبادئ الرسول الأكرم عن الله سبحانه وتعالى.

و يهزأ بالجيش الذي قاده بسر بن أرطاة لقتال همدان، وكيف أنّه لحماقته أسلمهم إلى سيوف حداد طوال للهمدانين الأبطال، وذلك يساقو إسلامه إياهم للهوان والذل والصغار، المتمثل بقتل بعضهم وجرح بعض، وأسر البعض الآخر أو فرارهم مغلوبين، فقال :

أسلمهم بُسرٌ إلى الهوانِ إلى سيوف لبني همدان

و لعلّ فيما ذكرناه كفاية لبيان شاعرية هذا العملاق الشيعي الذي نذر حياته و عمره للدفاع عن الحقّ، و وقف أدبه و شعره الجميل للإمام علي و التشيع.

خطابته :

ولم تُحدّد قابليّات سعيد الأدبية بشعره، بل كانت لسعيد يدٌ بيضاء على النثر، و باع طويلاً في الخطابة، و قدم ثابت في الكلمات النارية التي أخدم بها الفتن و سارع فيها لنصرة أمير المؤمنين.

و أفضل نموذج زاوج فيه سعيد بين النثر والشعر، هو ذلك الكتاب الرائع الذي خطّه أنامله الشريفة، ردّاً على شرحبيل بن السمط الكندي، الذي استهواه معاوية و استغواه الشيطان، فراح يؤلّب الناس على عليّ و يهيج الرأي العامّ الشاميّ ضده.

لقد بلغ الأدب بسعيد مبلغاً عظيماً، حيث لم يكتب كتابه إلّا بعد أن استأذن إمامه الإمام أمير المؤمنين.

قال ابن أعثم: و أقبل سعيد بن قيس الهمداني إلى علي عليه السلام فقال: يا



أمير المؤمنين، إن شُرحبيل رجلٌ عمي القلب، وقد سار في مدائن الشام
فاستنفرهم إلى حربنا، فإذن لي أن أكتب إليه كتاباً فلعلي أشككه فيما هو
فيه.

فقال: علي عليه السلام: اكتب ما أحببت.

فكتب إليه سعيد بن قيس: أمّا بعد يا شرحبيل، فإنّ أهلك من أرض اليمن،
غير أنّك هاجرت إلى الكوفة، وانتقلت إلى الشام فكنت بها ماشاء الله.
حتى إذا قُتل عثمان و بايع الناسُ عليّاً، عبّا لك معاوية رجالاً لا يعرفون
الحلال ولا ينكرون الحرام، فاخذعوك وشهدوا عندك أنّ عليّاً قُتل
عثمان.

ولو نظرت بعقلك لعلمت أنّ ذلك باطل وزور، ولو كان على ما شهدوا
عندك أنّ عليّاً قتل عثمان لَمّا بايعه المهاجرون والأنصار، وهم واضعون
أسيافهم على عواتقهم، يقاتلون معه من خالفه من أهل البصرة وغيرهم
من الناس.

فلا تكن رأس الخطيئة ومفتاح البليّة، فإني مازلت لك ناصحاً، و عليك
مشفقاً، والسلام^١.

لقد ابتدأ سعيد القسم الأوّل من كتابه بتذكير شرحبيل بنسبه في اليمن، باعتبار أنّ
الغالبية الساحقة من اليمانية كانوا من أتباع علي عليه السلام وأهل بيته، كما كانوا أتباع
النبي صلى الله عليه وآله الذي قال في حقهم «الإيمانُ يمانٌ»^٢، وأنهم ليسوا من القبائل القرشية و

١ - الفتوح ج ١، ص ٥٣٨.

٢ - مجمع البحرين ج ٦، ص ٣٣٣.

العدنانية التي كانت تُنافس النبي و أهل البيت، و تعتبر النزاع نزاعاً على مراكز القدرة و السلطة في المجتمع العربي.

أثار سعيد هذه النكتة الحساسة في نفس شرحبيل القبائلية، ثم أردفها بلفظ «الهجرة» إلى الكوفة مشعراً إيّاه من خلال لفظ «الهجرة» - بما تحمله من ظلالٍ و بُعْدٍ ديني و دغدغة للمشاعر - بأنّ هجرته إلى الكوفة كانت ذات بُعْدٍ ديني إسلامي، ثم عبّر عن رحيله إلى الشام «بالانتقال» مُعرّضاً عن لفظ الهجرة، طارحاً في كل ذلك إشعاعات و إشارات إلى أنّ جبهة الكوفة هي الحق، و أنّ الجانب الشامي على الباطل.

ثم انتقل في القسم الثاني من كتابه إلى ذكر مقتل عثمان و مبايعة الناس عليّاً، ما رآ على هذين الحدثين مُرُور الكرام - لكي لا يثير حفيظة شرحبيل فيركب رأسه، إذ لعلّه يرجع عما هو فيه من الضياع - ثم خفّف عبء المسؤولية عنه حين ذكر له أنّ الذنب دُنب معاوية و شهوده الفسقة الذين لا يلتزمون بأحكام الله، ولا يعرفون الحلال ولا ينكرون الحرام، و أنّهم هم الذين اختدعوه فصار ضحيّتهم من حيث يشعر أولاً يشعر، لامساً عند ذلك لمسة خفيفة مقتل عثمان مقترناً بتبرئة علي، عبر التعبير عن ذلك بشهادة الشهود الذين قرّغ عن تقرير انحرافهم عن الدين.

و في هذه المرحلة من الرسالة صار من الملائم جدّاً أن يدخل سعيد في القسم الثالث بصراحة و قوّة، فرماه بأنّه لا ينظر بعقله، لأنّه لو نظر بعقله لبان له أنّ دعوى قتل علي لعثمان باطلة، لأنّ العقل يحكم ببراءة علي و عدم مدّه يداً لقتل عثمان، مضافاً إلى ذلك أنّه لو كان الأمر كما ذكر الشهود الغيّب لما بايع الإمام عليّاً أعلام المهاجرين و الأنصار الذين يمثلون كل الفئة المهاجرة و الأنصارية، حتى أنّهم لم يكتفوا بالبيعة بل قاتلوا معه من خالفه أقسى القتال و أعنفه، كما حصل ذلك في حرب الجمل و نكت أهل البصرة.



و جليّ هنا أنّ سعيداً كان كلامه يستبطن التهديد الخفي لشرحبيل بأنّ مصيره و من معه لا يكون أفضل من مصير الجمليّين، خصوصاً و أنّ المقاتلين من المهاجرين و الأنصار مستعدّون دوماً لقتال من خالف عليّ عبر حملهم السيوف على عواتقهم. و أخيراً يختتم سعيد رسالته بالنصيحة الممزوجة بالشفقة - بعد أن وعظ و هدّد - محدّراً شرحبيل من عذاب الآخرة لو صار رأس الخطيئة، و خزي الدنيا لو أصبح مفتاح البلية، و هذه قمة البراعة الأدبية و الحنكة السياسية التي عرّفها العالم، و مازال يحاول ترسمها إلى اليوم.

و لسعيد خطب طنانة، و كلمات رنانة، أقصّ بها مضاجع معاوية، و سرّبها قلب أمير المؤمنين، نورّبها الأفكار، و أوضح مقاصد الحق و مراميه، حتى تبعته الأبطال، و دخلوا في لهوات الموت و غمار الحرب، معتقدين بما عند الله من جزيل الأجر و الثواب.

فله في قناصرين خطبة كلّها روائع و عيون من البلاغة، و كلّها معاني اعتقادية و اجتماعية و سياسية و حربية، ربما يحتاج شارحها إلى أضعاف أضعاف ما هي عليه، قال فيها بعد أن قام واقفاً :

الحمد لله الذي هدانا لدينه، و أورثنا كتابه، و امتنّ علينا بنبيّه ﷺ فجعله رحمة للعالمين، و سيّداً للمسلمين، و قائداً للمؤمنين، و خاتماً للنبيين، و حُجّة الله العظيم على الماضين و الغابرين، و صلوات الله عليه و رحمة الله و بركاته.

ثم كان مما قضى الله و قدّره - و الحمد لله على ما أحببنا و كرهنا - أن ضَمَّنَا و عدوّنا بقناصرين، فلا يُحْمَدُ بنا اليوم الحياص، و ليس هذا بأوانٍ انصراف و لات حين مناص.

و قد اختصنا الله منه بنعمة فلا نستطيع أداء شكرها، ولا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا، فوالله الذي هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشياً مجدّعاً - إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلاً - لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا و تطيب أنفسنا.

فكيف وإنما رئيسنا ابن عمّ نبيّنا، بدرّي، صدّق و صلى صغيراً، و جاهد مع نبيكم كبيراً، و معاوية طليق من وثاق الإِسار، و ابن طليق، ألا إنّه أغوى جُفَاءً فأوردهم النار، أورثهم العار، والله محلّ بهم الذلّ و الصغار. ألا إنكم ستلقون عدوكم غدًا، فعليكم بتقوى الله و الجدّ و الحزم، و الصدق و الصبر؛ فإنّ الله مع الصابرين.

ألا إنكم تفوزون بقتلهم و يشقون بقتلكم، والله لا يقتل رجلٌ منكم رجلاً منهم إلا أدخل الله القاتل جَنّاتِ عدنٍ، و أدخلَ المقتول ناراً تَلظى ﴿لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

عصّنا الله و إياكم بما عصم به أوليائه، و جعلنا و إياكم ممّن أطاعه و اتّقاها، و أستغفر الله لنا و لكم و للمؤمنين.

قال الشعبي: لعمرى لقد صدق بفعله ما قال في خطبته^١.

و أطفأت كلمات سعيد النائرة التي كادت تشعلها العصبية القبلية حين عزل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الأشعث عن زعامة كندة و جعلها لحسان بن مخدوج.

قال نصر: و غضب رجال اليمنية، فأثاهم سعيد بن قيس الهمداني، فقال :



ما رأيْتُ قوماً أبعدَ رأياً منكم، أرايتم إن عصيتم على عليّ هل لكم إلى
عدوّه وسيلة؟! وهل في معاوية عِوضٌ منه؟! أو هل لكم بالشام من بدلةٍ
بالعراق؟! أو تجد ربيعة ناصراً من مضر؟! القول ما قال، والرأي ما صنع^١.

فكانت كلماته هذه و حججه الدامغة كالسيل الذي يطفئ النار التي كادت أن
تستعر.

ولم تقتصر كلمات سعيد الجريئة هذه على حيّز سلطته ومركز قدرته، بل له كلمة
جريئة هدّد بها معاوية وهو في شامه المشوم، وذلك حينما أرسله علي فيمن أرسل
ليدعوا معاوية إلى الطاعة والجماعة، فلما أبى معاوية إلاّ السيف، وثب سعيد قائماً
وقال :

والله يا بن هند، لتغلبنّ سيوفُ صاحبنا - يعني عليّاً عليه السلام - ما تودُّ أن أمّاك
هنداً لم تلذك، ولم تكن في العالمين^٢.

وقد مرّ عليك في ثنايا المقدّمة أنّ عليّاً عليه السلام حين أراد الرجوع إلى غزو الشام، و
جاءه الناس معتذرين من تفريطهم، وأمرهم الإمام علي عليه السلام قائلاً :
استقيموا لي فيما أمركم به وأدعوكم إليه من غزو الشام وأهله.

قام إليه سعيد بن قيس الهمداني، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لو أمرتنا بالمسير
إلى قسطنطينية ورومية مشاة حفاةً على غير عطاء ولا قوة ما خالفتك أنا ولا رجل من
قومي^٣.

١ - صفين ص ١٣٨.

٢ - الفتوح ج ١، ص ١٧.

٣ - الغارات ص ٤٣٩.

كما مرّ عليك ثناء الإمام علي عليه و على قومه، و قوله فيهم: أنتم درعي و رمحي يا همدان ما نصرتم إلا الله ولا أجبتكم غيره.

فقام سعيد محتذياً مثال كلام الامام عليه السلام و قال: أجبنا الله و أجبناك، و نصرنا نبي الله صلى الله عليه وآله في قبره، و قاتلنا معك من ليس مثلك، فارم بنا حيث أحببت^١.

و لما رفعت المصاحف على الرماح، جزع أهل الشام لما تأخّر جواب أهل العراق لما دعا إليه أهل الشام من الخديعة، فدعا معاوية عبدالله بن عمرو بن العاص و أمره أن يكلم أهل العراق، فأقبل بين الصّفين و نادى بالويل و الثبور، و طلب من جيش العراق وقف الحرب، قال الراوي: فخرج سعيد بن قيس فقال:

يا أهل الشام، إنّه قد كان بيننا و بينكم أمور حامينا فيها على الدين و الدنيا، سمّيتوها عذراً و سرّفاً، و قد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس، و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقتهم، ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله، فالأمر في أيدينا دونكم، و إلاّ فنحن نحن، و أنتم أنتم^٢.

و كذلك قوله للحكمين بعد أن فعّلا فعلتهما الدنيئة: والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه، و ما ضلالكما بلازمننا، و ما رجعتما إلّا بما بدأتما، و إنّما اليوم على ما كنّا عليه أمس^٣.

فهذه نماذج من كتابته و خطابته و كلماته، مفعمة بالبلاغة و الحكمة، طافحة

١ - صفين ص ٤٣٧.

٢ - صفين ص ٤٨٣.

٣ - صفين ص ٥٤٧، و الفتوح ج ٢، ص ٢١٢.

بالولاء، معبرة أصدق تعبير عن الحالة الشيعية في ذلك الزمان بانتصاراتها و
انكساراتها، وأحزائها وأفراحها، وقيادتها، ورعيتها، وبالتالي فهي صحيفة ناصعة
صادقة عن تاريخ تلك البرهة الحساسة من الزمن.

كلمات أخرى:

ألقينا نظرات سريعة على بطولات سعيد و مواقفه، وأشعاره، و خطبه و كلماته،
كما استعرضنا إيمانه و ولاءه و مكانته، و بقيت بعض المفردات المهمة رأينا أن
لاغنى عن التعرض لذكرها، مثل كونه من المجيدين للقراءة و الكتابة، ولم يكن أمياً،
إذ رأينا مكاتبته و مراسلته التي ذيلها بشعره، و التي تدل على ما قلنا من أنه كان من
المجيدين للقراءة و الكتابة، مضافاً لروايته عن إمامه و أستاذه الإمام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب.

أضف إلى ذلك أن تلك الكمالات المجتمعة في شخصيته خلقت منه شخصية
عالية ممدحة، يقال فيها الشعر و يتغنى بأمجادها الشعراء.

و أول من فتح لهذه الشخصية هذا الباب فيما علمنا هو الإمام أمير المؤمنين
علي عليه السلام، حيث مدحه مدحاً شعرياً منقطع النظير و خصّه بالذكر من بين قومه يوم
قال قصيدته :

و لما رأيت الخيل تفرع بالقنا	فوارسها حمزُ العيون دوامي
و أقبلَ رهجٌ في السماء كأنه	غمامة دجنٍ مُلبسٍ بقتامٍ
و نادى ابنُ هند ذا الكلاع و يحضباً	و كندة في لخم و حيّ جذامٍ
تيّمت همدان الذين همُّهم	إذا ناب أمرُ جُتّي و حسامي
و ناديت فيهم دعوة فأجابني	فوارسُ من همدانَ غيرُ لئامٍ

الى أن يقول ﷺ :

يقودهمُ حامي الحقيقة منهم سعيدُ بنُ قيسٍ و الكريمُ يحامي
جزى الله همدانَ الجنانَ فإنهم سمام العدى في كل يوم خصام^١

و سار الشعراء على هذا المنوال فهزجوا بمواقف سعيد و خصاله الكريمة، فامتدحه أيمن بن خريم الأسدي لما بلغه ما لقي معاوية من الفارس الصنديد سعيد، فقال يمدح سعيدا و يعير معاوية :

معاوي إن الأمر لله وحده وإنك لا تستطيع ضراً ولا نفعاً
عبأت رجلاً من قريش لمعشر يمانية لا تستطيع لها دفعا
فكيف رأيت الأمر إذ جدّ جدّه لقد زادك الرأي الذي جئته جدعا

حتى يقول :

وإنّ سعيداً إذ برزت لرمحه لفارسُ همدان الذي يشعب الصدعا
مليّ بضرب الدارعين بسيفه إذا الخيل أبدت من سنابكها نقعا
رجعت فلم تظفر بشيءٍ أردته سوى فرسٍ أعيّت و أبت بها ضلعا^٢

و أهدر الإمام أمير المؤمنين دم الشاعر المعروف الحارث بن بدر الغداني لما سعى في الأرض فساداً، فاستجار هذا الشاعر الطريد بأشراف الناس فلم يُجره أحدٌ، ف قيل له: عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يجيرك - و الظاهر أنهم أشاروا عليه به لما علموا من خصيص منزلته من أمير المؤمنين ﷺ - فطلب سعيداً فلم يجده، فجلس في طلبه حتى جاء، فأخذ بلجام فرسه، فقال: أجرني أبارك الله.

١ - ديوان الإمام علي ص ١١٣ - ١١٤.

٢ - صفين ص ٤٣٢.



قال سعيد: ويحك، مالك؟

قال: أهدر أمير المؤمنين دمي.

قال سعيد: وفيم ذاك؟

قال: سعيْتُ في الأرض فساداً.

قال سعيد: ومن أنت؟

قال: حارثة بن بدر الغداني.

قال سعيد: أقيم. وانصَرَفَ إلى علي عليه السلام فوجده قائماً على المنبر يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين، ماجزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أن يُقَتَّلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلهم من خلافٍ أو يُنْفُوا من الأرض.

قال سعيد: يا أمير المؤمنين، إلّا من؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إلّا من تاب.

قال سعيد: فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً، وقد أجزته.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت رجلٌ من المسلمين وقد أجزنا من أجزت.

ثم قال علي عليه السلام وهو على المنبر: أيّها الناس، إني كنت نذرت دم حارثة بن بدر، فمن لقيه فلا يعرض له.

فانصرف سعيد بن قيس إلى حارثة بن بدر فأعْلَمَهُ وَحَمَلَهُ وكساه، وأجازه بجائزة سنية، فقال فيه حارثة :

أعني سعيد بن قيس قرم همدان

الله يجزي سعيد الخير نافلة

أَنقَذَنِي مِنْ شَفَا غِبْرَاءَ مَظْلَمَةٍ لَوْلَا شَفَاعَتُهُ أَلْبَسْتَ أَكْفَانِي
قَالَتْ تَمِيمُ بْنُ مَرْ: لَا نَخَاطِيبُهُ وَ قَدْ أَبَتْ ذَلِكَ قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ
أَسَاخَ فِي الْحَلْقِ رِيْقًا كَانَ يَجْرُضُنِي وَأَظْهَرَ اللَّهُ سَرِّي بَعْدَ كَتْمَانِي
إِنِّي تَدَارَكْنِي عَفٌّ شَمَائِلُهُ أَبَاؤُهُ حِينَ يُنْمَى خَيْرُ قَحْطَانَ
يَنْمِيهِ قَيْسُ وَزَيْدٌ وَالْفَتَى كَرَبُّ وَ ذُو جِبَائِرٍ مِنْ أَوْلَادِ عَثْمَانَ
وَ ذَوُورَعَيْنِ وَ سَيْفٍ وَابْنِ ذِي يَزْنَ وَ عَلَقَمٍ قَبْلَهُمْ أَغْنَى ابْنَ نَبْهَانَ

فلما أراد حارثة الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر البصريين في ألف راكب، و حمله و جهّزه، فقال مرّة أخرى يمدحه :

لَقَدْ سُرِرَتْ غَدَاةُ النَّهْرِ إِذْ بَرَزَتْ أَشْيَاخَ هَمْدَانَ فِيهَا الْمَجْدُ وَ الْخَيْرُ
يَقْتُوهُمْ مَلَكٌ جَزَلٌ مُوَاهِبُهُ وَارِي الزَّنَادَ لَدَى الْخَيْرَاتِ مَذْكُورُ
أَغْنَى سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ خَيْرُ ذِي يَزْنَ سَامِي الْعِمَادِ لَدَى السُّلْطَانِ مُحَبَّرُ
مَا إِنْ يَلِينُ إِذَا مَا سِيَمٍ مَنَقَصَةٌ لَكِنْ لَهُ غَضَبٌ فِيهَا وَ تَنْكِيرُ
أَغْرُ أَسْلَجٍ يَسْتَسْقِي الْغَمَامُ بِهِ جَنَابَهُ الدَّهْرُ يُضْحِي وَ هُوَ مَمْطُورُ^١

ولما عبأ معاوية حماة الخيل لهمدان فَرَدَّتْ خِيْلُهُ أَسْفَ، فخرج بسيفه، فحملت عليه فوارس همدان فقاتها ركضا، و انكسر حماة أهل الشام و رجعت همدان إلى مكانها، و قال حُجْرُ بْنُ قَحْطَانَ الْوَادِعِيُّ الْهَمْدَانِيُّ يَخَاطِبُ سَعِيدَ بْنَ قَيْسٍ :

أَلَا يَا بَنَ قَيْسٍ قَوَّتِ الْعَيْنُ إِذْ رَأَتْ فَوَارِسَ هَمْدَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ

يقول فيها :

عَبَّاهَا عَلَيَّ لَابِنِ هِنْدٍ وَخَيْلِهِ فَلَوْ لَمْ يَفْتُهَا كَانَ أَوَّلُ هَالِكِ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ اِدْعُنَا إِذَا شِئْتَ إِنَّا عَرْضَةٌ لِلْمِهَالِكِ^١.

و حين وقع الأصبع بن ضرار الأزدي في أسر أصحاب علي عليه السلام و خاف القتل،
رفع صوته بأبيات شعريّة أسمع بها الأشر النخعي واستجار به، ذكر في أثنائها سعيد
ابن قيس و أمثاله من أصحاب الإمام عليه السلام، قال في أبيات منها :

فِيَا نَفْسُ مَهْلًا إِنَّ لِلْمَوْتِ غَايَةً فَصَبِرْ أَعْلَى مَا نَابَ يَا بِنَ ضَرَارِ
أَخْشَى وَلِي فِي الْقَوْمِ رَحِمَ قَرِيبَةٍ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَخْشَى وَالْأَشْرَ جَارِي
وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ الْأَسِيرَ بِبَلَدَةٍ أَطَاعُ بِهَا شَمْرَتُ ذَيْلِ إِزَارِي
وَلَوْ كُنْتُ جَارَ الْأَشْعَثِ الْخَيْرِ فَكُنِّي وَقَلَّ مِنَ الْأَمْرِ الْمَخُوفِ فِرَارِي
وَجَارَ سَعِيدٍ أَوْ عَدِيٍّ بَنِ حَاتِمٍ وَجَارَ شَرِيحِ الْخَيْرِ قَرَّ قَرَارِي^٢.

هذه المدائح كلّها، كانت لشخصية سعيد الجامعة لخصال من الفضل و الكمال، و
المنزلة القريبة من إمامه أمير المؤمنين، الذي كان يأخذ آراءه مأخذ الاحترام و
التقدير، و يعطيه المنزلة العالية في جيشه العلويّ المظفرّ، و بالتالي فهذه المدائح
ممّا يدلّ على مكانة هذا الرجل السامية و موقعه المرموق، و حبّ الناس له و حبّه
لهم، و هي صحائف صادقة سُجِّلَتْ فيها آثار النور النبوي العلوي.

وفاته :

ليس بين أيدينا من المصادر و المراجع ما يذكر أو يحدّد تاريخ وفاة سعيد بن

١ - انظر صفين ص ٤٣٨ - ٤٣٩.

٢ - انظر صفين ص ٤٦٧.

قيس الهمداني، و لكنّا نلحظ انقطاع أخباره بعد صلح الإمام الحسن بن علي عليه السلام، و غيابه عن ساحة الأحداث و واجهتها، ممّا يمكن أن نرجّح معه وفاته في تلك الفترة التي ألفت فيها حكومة معاوية ظلالها الدكناء على كل شيء لا يروق لها و كل شخصية تتقاطع معها فكرياً و سياسياً و عسكرياً.

و يؤيد ما قلنا ما ذكره المامقاني في وفاته، حيث قال: مات على ما ببالي بعد عام الصّلح بزمنٍ يسير^١.

لكنّ الغريب في الأمر هو ما ذكر المامقاني بعد ذلك من عدم شهوده يوم الطّف، و تبريره ذلك بإمكان ابتلائه بما يمنع من حضوره الطّف، فإنّ عام الصّلح كان سنة ٤١هـ، و يوم الطّف كان سنة ٦١هـ، و لا يقال لمثل هذه المدة «زمن يسير».

على أننا لا نمتلك ولا نصّ واحد يصرّح بوجود سعيد بن قيس و حياته في سنة ٦١هـ، بل اختفت أخباره تماماً بعد عام الصّلح.

اللهم إلّا أن يقال أنّ المامقاني رحمته الله استفاد وجود سعيد في ذلك الزمان من النص الذي نقله ابن الكلبي النسابة، و هو: أنّ الحجاج أرغم سعيد بن قيس هذا أن يزوّج ابنته رجلاً من أود لا شرف له من مبغضي علي عليه السلام و منتقصيه، و قال له: قد زوّجتك بنت سيّد همدان و عظيم كهلان و رئيس اليمانية^٢. و هذا يقتضي أنّ سعيداً كان حيّاً في سنة ٧٥هـ التي ولي فيها الحجاج العراق، كما يقتضي أن يكون سعيد من أصحاب الإمام أمير المؤمنين و الحسن و الحسين و السّجاد عليهم السلام، و هو أمر لو كان لنصّ عليه أصحابنا، فإن لقاء أربعة من الأئمة منقبة عظيمة يستحيل عادة أن يغفلها الرجاليون. و الذي يترجّح بنظرنا هو أنّ سعيد بن قيس الهمداني صاحب الإمام

١ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩.

٢ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٣٠.



أمير المؤمنين عليه السلام توفي بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام بزمان يسير، أي ما بين ٤١ هـ - ٤٥ هـ، وأما الذي فعل الحجاج اللعين به ما فعل فهو سعيد بن قيس آخر.

قال المامقاني: سعيد بن قيس الهمداني الصائدي الكوفي، عدّه الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الصادق عليه السلام... وربما احتمل الفاضل التفرشي في حاشية منه على النقد^١ اتّحاده مع الآتي [يعني به شاعرنا]، واستبعده في التكملة؛ لأنّ ذاك من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وهذا من أصحاب الصادق عليه السلام، ويبعد بقاء ذلك [أي شاعرنا] إلى زمان الصادق عليه السلام، فإنّ ملاقة ستة من الأئمة فضيلة للرجل كانت تذكر لو كانت^٢.

أضف إلى ذلك أنّ التاريخ نقل لنا مواقف وأدوار ولدي سعيد في أثناء حكومة المختار الثقفي وثورته الباسلة، إذ كان عبدالرحمن بن سعيد عامل المختار على الموصل^٣، وكان عمرو بن سعيد ممن وقف مع المختار ضد عبيد الله بن الحرّ الجعفي حين كان يغير على أطراف ما تحت يد المختار^٤، إلى غيرها من مواقفهما وأدوارهما، فلو كان سعيد حيّاً آنذاك - سنة ٦٦ هـ - لبانت مواقفه وتُقلت لنا أخباره.

فإذا علمنا أنّ الحجاج توفي سنة ٩٥ هـ، وأنّ الإمام الصادق عليه السلام استلم زمام الإمامة الفعلية وقيادة الشيعة سنة ١١٤ هـ، استقرينا كون سعيد الذي آذاه الحجاج و أرغمه على تزويج ابنته هو هذا الثاني الذي هو من أصحاب الصادق عليه السلام، وهو من

١ - انظر حاشية نقد الرجال ج ٢، ص ٣٢٦.

٢ - تنقيح المقال ج ٢، ص ٢٩. و يمثله قال السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٦.

٣ - تاريخ اليعقوبي ج ٢، ص ٢٥٩ والأخبار الطوال ص ٢٩٢. ولا يفوتك أنّه بعد ذلك انضمّ إلى الخارجين على المختار فقتل.

٤ - الأخبار الطوال ص ٢٩٧.

همدان أيضاً، ولعله يشترك بالنسب القريب مع شاعرنا، فصَحَّ أن يكون سيّد همدان وعظيم كهلان ورئيس اليمانية، أو لعلَّ الحجاج يقصد بهذه الأوصاف الجدَّ المَلِك في الجاهلية. هذا كله إذا سلّمنا صحّة القصّة المنقولة، وحاولنا أن نخدع أنفسنا بإبقاء الحجاج الدمويّ على شخصية مثل سعيد معروفة بمواقفها وولائها للبيت العلوي دون أن يقتلها أو ينكل بها أشدّ وأبشع أنواع التنكيل.

منهج التحقيق :

بعد أن جمعنا ما حصلنا عليه من شعر سعيد بن قيس الهمداني، حقّقناه وشرحنا ما وجدنا شرحه ضرورياً، برغم قلّة شعره، لكننا نقدّمه في سلسلة دواوين أصحاب علي عليه السلام من الشعراء، وقد اتبعت في تحقيق أشعاره المنهج التالي :

- ١ - رتّبْتُ الأشعار ترتيباً هجائياً حسب حروف القافية، مبتدئاً بالضمة فالفتحة فالكسرة فالسكون، فما ألحق بها.
- ٢ - أخرجت بحر كل قصيدة أو قطعة أو بيت.
- ٣ - ضبطت الشعر بقدر يزيل عنه اللبس وأظهرت الوجه الصحيح له.
- ٤ - شرحت المفردات التي رأيت شرحها ضرورياً بشكل مختصر، وقد أتيت بالشاهد إذا كان الشرح يحتاج لذلك، وقد اعتمدت في ذلك على المصادر الموثوقة والمعاجم المعتبرة، وقد أشرنا إليها في أماكنها.
- ٥ - جعلت لكل بيت رقماً متسلسلاً، أشير إليه في الهامش عند الشرح أو المقابلة أو الرواية.
- ٦ - أشرت إلى الأشعار التي اختُلف في نسبتها لسعيد في التخريج.
- ٧ - الأصل المطبوع بالحرف الكبير هو النصّ الشعري خالصاً، وما طبع في



الهامش بالحرف الناعم فهو للتخريج و الشرح و المقابلة.

٨ - ليس من الضروري أن يكون الشعر المثبت في الأصل هو الأصح، بل بعضه مقطوع بترجيح غيره عليه، ولكنني أثبتته في الأصل إمّا لعدم المصدر أو وثاقته أو لأنه أجمع من سائر المصادر لأبيات القصيدة.

٩ - اعتمدت الكتب التاريخية و التراثية و المناقبية بالدرجة الأولى لتخريج شعر الشاعر، كما اعتمدت جمهرة من كتب اللغة و الأدب و المعاجم لتوثيق شعره، و المصدر المذكور في الهامش أولاً هو المصدر الذي أخذت منه الشعر.

١٠ - ذكرت اختلاف الرواية في كل بيت، و لم أكرّر الإشارة إلى رقم الصفحات لأنها موجودة في التخريج، اللهم إلّا إذا تكرّرت الرواية في أكثر من موضع في مصدر واحد و كان بينها اختلاف، فعند ذلك أكرّر صفحات التخريج.

١١ - جعلت نجمة واحدة بعد عنوان كلّ قصيدة في الأصل و مثلها في الهامش، ليأتي عندها التخريج، و جعلت نجمتين في الهامش لذكر المناسبة التي قيل فيها الشعر إن وُجدت.

١٢ - عناوين القصائد المحصورة بين المعقوفتين من عندنا.

١٣ - ذكرت الخلاف الموجود في مناسبة الشعر إن وُجد، و المناسبة يكون تخريجها من نفس المصدر الذي اعتمدته أولاً في إخراج شعره، و قد أذكر أحياناً المناسبة من مصدر آخر إذا كانت أكثر توضيحاً مما أخذ من المصدر، أو تختلف مع المناسبة المذكورة أولاً.

هذا، و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سائلين المولى عزوجل أن يوفقنا لإتمام و إنجاز شعر باقي الشعراء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

قيس العطار



1. The first part of the paper is devoted to the study of the

history of the country. It is a very interesting and useful part of the paper. It gives us a clear idea of the past and helps us to understand the present.

The second part of the paper is devoted to the study of the present. It is a very interesting and useful part of the paper. It gives us a clear idea of the present and helps us to understand the future.

The third part of the paper is devoted to the study of the future. It is a very interesting and useful part of the paper. It gives us a clear idea of the future and helps us to understand the present.

The fourth part of the paper is devoted to the study of the past. It is a very interesting and useful part of the paper. It gives us a clear idea of the past and helps us to understand the present.

The fifth part of the paper is devoted to the study of the future. It is a very interesting and useful part of the paper. It gives us a clear idea of the future and helps us to understand the present.



شعر

سعيد بن قيس الهمداني



رَبِّهِمْ وَهُمْ مُخْلِصُونَ لَهُمْ مِنْهُمُ ذُرِّيَّتُكُمْ ذُرِّيَّتُكُمْ ذُرِّيَّتُكُمْ



[أصبحت راجعاً]*

(من الطويل)

- ١ - أَيَا شُرُوحِ يَابَنِ السَّمْطِ أَصْبَحْتَ رَاجِعاً على الْعَقَبِ فَانْظُرْ فِي رُجُوعِكَ لِلْعَقَبِ
- ٢ - أَخَذْتَ ابْنَ هِنْدٍ مِنْ عَلِيٍّ وَبِئْسَ مَا [أَخَذْتَ] وَفِيهَا مِنْكَ ذَاكِيَةُ اللَّهَبِ
- ٣ - أَخَذْتَ طَلِيقاً نَاصِباً بِمُهَاجِرٍ تَقِيُّ لَهُ فِي النَّاسِ خَطْبٌ مِنَ الْخَطْبِ
- ٤ - عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ كَانَ مِنْهُ عَظِيمَتُهُ وَلَمْ يَكُ مِنْهُ فِي ابْنِ عَقَّانٍ مِنْ ذَنْبٍ
- ٥ - وَمَا كَانَ إِلَّا لَازِماً قَعَرَ بَيْتِهِ قَلِيلَ التَّجَنُّيِّ فِي الْحَوَادِثِ وَالْغَضَبِ
- ٦ - إِلَى أَنْ رَمَاهُ الْمَوْتُ فِي جَوْفِ دَارِهِ فَبَايَعَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ هُمْ حَسْبِي
- ٧ - صَحَابُ رَسُولِ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ أُولَئِكَ أَوْلَى بِالْهُدَى مِنْ بَنِي كَرْبٍ
- ٨ - فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَغْيِيرَ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ بِمَا غَيَّرْتَ مِنْ نِعَمِ الرَّبِّ
- ٩ - لَقِيتَ رِجَالاً لَفَّقُوا لَكَ خُدْعَةً وَلَا بَنَتْ فِيهَا بِالْعَظِيمَةِ وَالْكَذِبِ
- ١٠ - صَدَّقْتَ قَوْماً لَا وِثْرَ وَغَايَتُوا وَلَوْ غَايَتُوا كَانُوا كَمَنْ غَابَ فِي لُبِّ
- ١١ - فَقُلْتَ الَّذِي قَالُوا بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا سَمْعٍ أُذُنٍ مِنْ بَعِيدٍ وَلَا قُرْبٍ
- ١٢ - فَسُبْحَانَ مَنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ أَيَرْضَى مِنَ الرَّأْسِ الْمُقَدَّمِ بِالْعُجْبِ
- ١٣ - وَيَرْضَى ابْنُ هِنْدٍ مِنْ صَحَابِ مُحَمَّدٍ بِرَجْرَاجَةٍ رَاضُونَ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ

* الفتوح ج ١، ص ٥٣٩.

لقد وردت القصيدة في الفتوح فقط، وفيها مواطن لا يستقيم معها الوزن أو المعنى



فصحناها من عندنا وأشرنا إلى مواضعها، وهي :

٢- في الفتوح: «و فيها و منك»، و ما بين المعوقتين من عندنا.

٤- في الفتوح: «و لم يك منك».

١٠- في الفتوح: «كان كمن».

*** [كتب معاوية كتاباً إلى شرحبيل بن السمط يدعوه فيه لنصرته، ويّتهم علياً بقتل عثمان، فأجابه شرحبيل بأنه يطلب المهلة ليشهدَ عنده قومٌ بذلك، قال: [فلما أصبح وجهٌ إليه معاوية بالقوم الذين أعدّهم له، فشهدوا عنده أنّ علياً قَتَلَ عثمان، قال: فعندها أقبل شرحبيل حتّى دخل على معاوية، فقال: يا هذا، لقد شهد عندي العدول أنّ علياً قتل الخليفة ظلماً... ثم أقبل معاوية على شرحبيل بن السمط فقال: إنّهُ قد كان من إجابتك إلى الحقّ ما وقع أجرك على الله عزوجل، و قَبِلَهُ منك الصالحون، و هذا الأمر لا يتم إلّا بأمر العامّة، و أريد منك أن تكتب إلى مدائن الشام فتعلمهم بما كان من إجابتهم، فلعلّهم أن يغضبوا للخليفة المظلوم، فقال شرحبيل: لا، و لكن أنا أسير إليهم بنفسي فأحرّضهم على ذلك، ثم سار شرحبيل حتّى دخل حمص... و جعل لا يأتي مدينة من مدائن الشام إلّا دعاهم إلى نصر معاوية و حرّضهم على قتال علي بن أبي طالب... قال: و أقبل سعيد بن قيس الهمداني إلى علي عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إن شرحبيل رجل عمي القلب، و قد سار في مدائن الشام فاستنفرهم إلى حربنا، فأذن لي أن أكتب إليه كتاباً فلعلّي أشككه فيما هو فيه، فقال علي: اكتب ما أحببت، فكتب إليه سعيد بن قيس: أمّا بعد يا شرحبيل... ثم أثبت في أسفل كتابه شعراً: «أيا شرح يابن السمط... القصيدة».

الشرح :

١- «أيا شرحُ»: منادى مرّحم شرحبيل، و هو شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلة الكندي، استقدمه معاوية لما قدم جرير البجلي على معاوية رسولاً من قِبَلِ علي عليه السلام، فهبّا له معاوية رجلاً يشهدون عنده أنّ علياً قتل عثمان، فشهدوا، و خرج شرحبيل إلى مدائن الشام يخبر بذلك و يندب إلى الطلب بدم عثمان و مقاتلة الإمام علي عليه السلام، مات و هو أمير على حمص



لمعاوية. (انظر صفين ص ٥٠، والاستيعاب ج ٢، ص ٦٩٩ - ٧٠٠).
رجع على عقبيه: إذا انثنى راجعاً، ومنه الحديث «ما زالوا مرتدين على أعقابهم»، أي راجعين إلى الكفر، كأنهم رجعوا إلى ورائهم. (مفردات الفاظ القرآن ص ٥٧٥، والنهاية الأثيرية ج ٣، ص ٢٦٨).

٢ - «أخذت ابنَ هندٍ»: أي تبعته و سرتَ بسيرته؛ تقول العرب: أَخَذَ أَخْذَهُ وبأخذه، أي سار سيرته أو تخلّق بأخلاقه. (انظر أساس البلاغة ص ٣، والمنجد ص ٤).
«من علي» أي بدلاً من علي، ذ «من» هنا بدليّة، وهي كقوله تعالى ﴿أرضيتم بالدنيا من الآخرة﴾، أي بدل الآخرة. (انظر النحو الوافي ج ٢، ص ٤٦٣).
«ذاكية اللهب» هي النار المستعرة المتوقّدة، وقد كنى بها عن إشعاله للحرب، من قولهم: أذكىْتُ الحربَ، إذا أوقدتها. ويمكن أن تكون كناية عن حقدِهِ و غر صدره، وذلك على حدّ قول الشاعر:

اصبر على حسد الحسو د فإنَّ صَبْرَكَ قاتِلُهُ
النارُ تأكلُ نفسها إن لم تجد ما تأكلُهُ

(انظر لسان العرب ج ١٤، ص ٢٨٧).

٣ - الطليق: فعيل بمعنى مفعول، وهو الأسير إذا خُلّي سبيله، وقد صار هذا الاسم و صمة عار على من حاربوا الرسول ﷺ، إذ لما فتح ﷺ مكة قال: يا معاشر قريش، ماترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خير، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكان فيهم معاوية و أبو سفيان. (انظر مجمع البحرين ج ٥، ص ٢٠٨).

النصب: المعادة؛ يقال: نَصَبْتُ لفلان نَصْباً، إذا عاديته، ومنه الناصب؛ وهو الذي يتظاهر بالعداوة لأهل البيت ﷺ أو لمواليهم لأجل متابعتهم لهم، وقال الفيروز آبادي: النَّوَاصِبُ و الناصبة و أهل النَّصَب: المتدينون ببغضة علي ﷺ لأنهم نصبوا له، أي عادوه. (انظر مجمع البحرين ج ٢، ص ١٧٣، والقاموس المحيط ج ١، ص ١٣٣).

«بمهاجرٍ»: الباء هنا بدليّة، أي أخذت طليقاً بدلاً من مهاجرٍ، ومنه قول الشاعر:

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا دُنْيَا بِآخِرَةٍ وَشِقْوَةً بِنَعِيمٍ سَاءَ مَا فَعَلُوا

(انظر النحو الوافي ج ٢، ص ٤٩١).

«خطب من الخطب»: أي شأن من الشأن، ومنه قولهم: جَلَّ الخطبُ، أي عظم الأمر والشأن، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي ما شأنكم. (انظر لسان العرب ج ١، ص ٣٦٠).

٤- لم يك: أصلها «لم يكن» فحذفت النون تخفيفاً، وهو جائز، ومنه قول الشاعر:

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفى بالشرر

(انظر شرح ابن عقيل ج ١، ص ٢٩٩ - ٣٠٠).

٥- «قليل التجني»: أي ليس له تجنُّ أصلاً، وفي الحديث «أنه كان يقلُّ اللغو» أي لا يلغو أصلاً، وهذا اللفظ يستعمل في نفي أصل الشيء، كقوله تعالى: ﴿فقليلاً ما يؤمنون﴾ أي لم يكن لهم إيمان أصلاً. (انظر النهاية الأثرية ج ٤، ص ١٠٤).

٧- صحاب: جمعٌ صاحب: وهو الملازم والمُعاشِر. (انظر المنجد ص ٤١٦). وقد بايع علياً عليه السلام خيار الصحابة وأهل السابقة وأهل بدر، قال الطبري: فدخل عليه منزله فأتاه أصحاب رسول الله ﷺ ... فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه. (تاريخ الطبري ج ٥، ص ١٥٢). «بني كرب» أراد بهم بني حرب بن أمية بن عبد شمس، وهو والد أبي سفيان صخر بن حرب، وقد عبّر عنهم بـ «بني كرب» لما جاءوا به من الولايات والكرب على الإسلام والمسلمين. (انظر المعارف ص ٧٣).

٨- معنى هذا البيت مأخوذ من مثل قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يكُ مغيّراً نعمةً أنعمها على قوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم﴾. (الأنفال، الآية ٨).

٩- لَفَّقُوا: أي زخرفوا وموّهوا بالباطل. (انظر المنجد ص ٧٢٧).

«لأَبْنَتْ»: الظاهر أنه يريد المفاعلة من اللبانة؛ وهي الحاجة، لأن معاوية كان بحاجة إليه لتحريض القبائل، وكان هو بحاجة إلى مناصب وأعطيات معاوية. (انظر لسان العرب ج ١٣، ص ٣٧٧). ولعلها محرفة عن «لاينت»، يقال: لاين الرجل ملاينة، أي لان له. وهو من اللين

- ضدّ الخشونة، ويراد به المخادعة والمراوغة. (انظر لسان العرب ج ١٣، ص ٣٩٥).
- العظيمة: مؤنث العظيم؛ وهي النازلة الشديدة. (المنجد ص ٥١٤). وأراد بها هنا الفرية و التهمة العظيمة؛ وهي فرية قتل الإمام عليّ لعثمان.
- ١٠ - في هذا البيت خَرَمٌ، وهو حذف أول التود المجمع من أول التفعيلة في البيت، ولا يكون إلّا في شعر أوله وتد، نحو «فعلن» في أول الطويل فإنّ «فَعُو» إذا حذف فَاؤها بقيت «عو» و صارت التفعيلة «عولن». (انظر الجامع في العروض والقوافي ص ١٧١).
- ١١ - الرويّة: الفكر والتدبّر، وهي كلمة جرت على ألسنتهم بغير همز تخفيفاً؛ وهي من رَوَاتُ في الأمر - بالهمز - إذا نظرت فيه. (المصباح المنير ص ٢٤٧).
- ١٢ - ثبير: اسم جبل من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة، سُمّي باسم رجل من هذيل مات في ذلك الجبل فعُرف الجبل به. (انظر معجم البلدان ج ٢، ص ٧٣).
- «الرأس المقدّم»: إنّما قال: المقدّم، مع حصول العلم بأنّ الرأس لا يكون إلّا مقدّماً، للتوكيد، كما في قوله تعالى ﴿فخرّ عليهم السقف من فوقهم﴾ والسقف لا يكون إلّا فوقاً. (انظر مجمع البيان ج ٣، ص ٣٥٧).
- العُجْبُ والعَجْبُ من كُلّ دابة: ما انضمّ عليه الوركّان من أصل الذنّب المغروز في مؤخر العُجْز، وقيل هو أصلُ الذنّب كلّهُ، وقال اللحياني: هو أصلُ الذنّب وعظمه. (لسان العرب ج ١، ص ٥٨٢).
- ١٣ - الرجراجة: رُذال الناس ورعاعهم الذين لا عقول لهم. (لسان العرب ج ٢، ص ٢٨١).
- «راضون بالأكل والشرب»: أي هم سقاط الناس الذين لا همم لهم، بل همهم الأكل و الشرب، وذلك كقول الإمام عليّ عليه السلام في خطبته الشقشقية واصفا ضعف عثمان: حتى قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه. وكقول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر:
- دع المكارم لا ترحل لنُبُغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
- قال شارح الديوان: أي أنك ترضى بأن تشبع وتلبس. (انظر نهج البلاغة ص ٤٩؛ الخطبة ٣، و ديوان الحطيئة ص ١٠٨).



[رايات الطعان]*

(من الطويل)

- ١ - لَقَدْ عَلِمْتُ عَكَ بِصَفِينِ أَنَا إِذَا مَا التَقَى الْجِيْشَانِ نَطَعْنُهُمْ شَرًّا
٢ - وَنَحْمِلُ رَايَاتِ الطَّعَانِ بِحَقِّهَا فَنُورِدُهَا بِيضًا وَنُصْدِرُهَا حُمْرًا

* مناقب الخوارزمي ص ١٧١.

البيتان منسوبان لقيس بن فهدان الكندي في تاريخ الطبري ج ٦، ص ١٧، و صفين ص ٢٧٧،
و عنه في شرح النهج ج ٥، ص ٢٢٢، و أعيان الشيعة ج ١، ص ٤٨٩.
البيتان مع بيت ثالث هو :

أَقْمَنَا بَدَارِ الْمَوْتِ لَمَّا ظَعْنْتُمْ وَلَمْ تَطْرُدُوا مَنَّا عِقَابًا وَلَا نَسْرًا

منسوبان لقيس بن فهدان أيضا في أخبار شعراء الشيعة ص ٦٣.

البيتان في الفتوح ج ٢، ص ٣٣، منسوبان لعبد الرحمن بن يحيى الكندي.

** وكانت عك أشجع أهل الشام و أصبرهم على القتال و أشدهم على أهل العراق، و كانوا
يلزمون الأرض و يشدون أنفسهم بعضهم ببعض، و ربيعة و همدان و مذحج أشجع أهل
العراق و أصبرهم على حرّ القتال و أطوعهم لأمير المؤمنين عليه السلام... ثم اشتدت المناجزة بين
همدان و عك، حتى قتل من همدان يومئذ ثلاثمائة رجل و اثنا عشر رجلا، و قتل من عك
ثمانمائة و سبعون رجلا، و كان سعيد بن قيس الهمداني يضرب في عك ضرباً منكراً، و هو
يقول: «لقد علمت ... الشعر».

الشرح :

١ - عك: هي قبيلة عربية منسوبة إلى عك بن عُذْثان بن عبدالله بن الأزْد. و قال الزبير بن بكار:
وَلَدَ عُذْثَانُ بْنُ أَدَّ مَعْدًا وَ الْحَارِثَ ؛ وَ هُوَ عَكٌ، ثُمَّ قَالَ: فَأَمَّا عَكٌ بْنُ عُذْثَانَ فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ
بِالْمَشْرِقِ فَهُمْ يَنْسُبُونَ فِي الْأَزْدِ، وَ كُلٌّ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ وَ الشَّامِ وَ مِصْرَ وَ الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُمْ
مَقِيمُونَ عَلَى أَنْسَابِهِمْ فِي عُذْثَانَ. (عجالة المبتدي ص ٩٣).



الطعن الشزر: الطعن في الجوانب يميناً وشمالاً، ومنه قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تعليم الحرب والمقاتلة: والحظوا الخزر واطعنوا الشزر. (انظر لسان العرب ج ٤، ص ٤٠٤، و نهج البلاغة ص ٩٧، الخطبة ٦٦).

٢- رايات الطعان: الأعلام التي تُعقد على الرماح. (انظر لسان العرب ج ١٢، ص ٤٢٠). في عجز البيت استعارتان مكنيتان، في إيراد الرايات وإصدارها، وأراد الفخر بشدة قتالهم وإروائهم الرايات من دم الأعداء. (انظر البلاغة الواضحة ص ٧٧).



[رَبِّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ] * (من مشطور الرجز أو مشطور السريع)

١ - لَا هُمَّ رَبِّ الْحِلِّ وَالْإِحْرَامِ

٢ - لَا تَجْعَلِ الْمُلْكَ لِأَهْلِ الشَّامِ

٣ - فَالْعَامُ عَامٌ لَيْسَ كَالْأَعْوَامِ

٤ - وَالْيَوْمُ يَوْمٌ لَيْسَ كَالْأَيَّامِ

٥ - وَالنَّاسُ مَزْمِيٌّ بِهِمْ وَرَامِي

* الفتوح ج ٢، ص ٤٠.

البيتان ١، ٢ في مناقب ابن شهر آشوب ج ٣، ص ١٧١، وعنه في أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٤.
١ - في مناقب ابن شهر آشوب و أعيان الشيعة: «الحلّ والحرام».

ملاحظة :

وزن هذا الشعر «مستفعلن مستفعلن مفعولن» جعلناه من المشور الرجز المقطوع العروض، وإن كان عامّة العروضيين عدّوه من مشطور السريع المكشوف العروض لعلّة ذكروها في محلّها - (انظر بيان العروض ص ٥٥) - لأنّ هذا الوزن من الأوزان التي يُرتجزُ بها.

** ثم استوى معاوية على فرسه، و خرج حتى وقف أمام أصحابه، و جعل يعرّض بقبائل همدان، و هو يقول: لا عيش... رجزاً، قال: فخرج إليه سعيد بن قيس الهمداني و هو يقول: لا هُمَّ ... الرجز.

الشرح :

١ - لَا هُمَّ: أصلها «اللهم» و قد أُلقيت منها الألف و اللام، فقالوا: لَا هُمَّ، و هذا نحو قول الشاعر :

لَا هُمَّ أَنْتَ تَجْبُرُ الْكُسَيْرَا

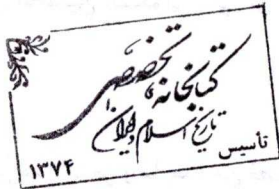
(انظر لسان العرب ج ١٣، ص ٤٦٧).

الحِلُّ: ما جاوز الحرم من أرض مكة، و الإحرام: مصدرٌ أَحْرَمَ إِحْرَاماً، بمعنى دخل في

الحرم، وأراد به ما يقابل الحِلَّ، أي مكان الإحرام. وقد ورد في زيارة الناحية المقدسة قول الامام «عج»: وبكت السماء وسكّانها، والجنان وخزانها... والحلّ والإحرام. (انظر المنجد ص ١٤٧ و ١٢٨، و زيارة الناحية المقدسة).

٢- المُلْك، بالضم: المملكة، وقيل السلطنة، وهي الاستيلاء مع خبط وتمكن من التصرف. وقد عبّر سعيد عليه السلام بالملك لا بالخلافة؛ لأنّ أهل الشام طواغيت، كانوا يسومون الناس الذلّ و الحيف و يفسدون في الأرض، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾. (انظر مجمع البحرين ج ٥، ص ٢٩٠).

٥- مرمي بهم: الباء هنا إما بمعنى «على» أي مرمي عليهم، و رائمون عليهم، وإما أن تكون للاستعانة، أي مرمي بواسطتهم، يعني الأتباع ويكون المراد بـ«الرامي» القادة، وإما أن تكون للتبويض، أي مرمي بعضهم ورام بعضهم. (انظر النحو الوافي ج ٢، ص ٤٩٢ - ٤٩٣).





[رمحي في حشاه]* (من الوافر)

- ١ - أَقُولُ لَهُ وَرُمَحِي فِي حَشَاهُ وَقَدْ قَرَّتْ بِمَضَرِّعِهِ الْعُيُونُ
٢ - أَلَا يَا عَمْرُو عَمْرُو بَنِي حُصَيْنٍ وَكُلُّ فَتًى سَتُدْرِكُهُ الْمَنُونُ
٣ - أَتَدْرِكُ أَنْ تَنَالَ أَبَا حُسَيْنٍ بِمُفْضِلَةٍ وَذَا مَا لَا يَكُونُ

* مناقب ابن شهر آشوب ج ٣، ص ١٧١، و عنه في بحار الأنوار ج ٣٢، ص ٥٧٦، وأعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٤.

١ - في بحار الأنوار: «و رمحي في حناه».

٣ - في بحار الأنوار: «أَتَطْمَعُ أَنْ تَنَالَ». وهي الرواية الأجود.

** و جال عليّ عليه السلام في الميدان [و ذلك في ١/ صفر/ ٣٧هـ] قائلاً: أنا علي... رجزاً، فاستخلفه عمرو بن الحصين السكوني على أن يطعنه، فرآه سعيد بن قيس قطعنه، وأنشد: أقول له... الشعر.

ملاحظة:

الظاهر أن هذا الشعر و ما بعده من قصيدة واحدة، لالتحاد المناسبة والوزن والقافية.

الشرح:

١ - الحشا: ما في البطن، جمعه أحشاء. (القاموس المحيط ج ٤، ص ٣١٦).

قَرَّتْ عينه: أي فَرِحَ وَسُرَّ، وقد اختلفوا في اشتقاق ذلك، فقال بعضهم: مُعْنَاهُ بَرَدَتْ و انقطع بكاؤها واستحارها بالدمع؛ فَإِنَّ للسرور دمعاً باردة وللحزن دمعاً حارة، وقيل: هو من القرار، أي رأت ما كانت متشوّقة إليه فقَرَّتْ و نامت. (انظر لسان العرب ج ٥، ص ٨٦).

٢ - هو عمرو بن الحصين السكوني، كان من شجعان أزلام معاوية و من فرسان أهل الشام، شهد وقعه صفين مع معاوية، حاول اغتيال عليّ عليه السلام فقتله سعيد بن قيس الهمداني. (انظر مختصر

تاريخ دمشق ج ١٩، ص ١٩٨ - ١٩٩، صفين ص ٢٧٣).



الْمَنُونُ: الموتُ، لَأَنَّهُ يَمُنُّ كُلُّ شَيْءٍ؛ أَيِ يَضَعُفُهُ وَيَنْقُصُهُ وَيَقْطَعُهُ. وَهُوَ يَذْكَرُ وَيُؤَنَّثُ، فَمَنْ
 أَنْتَ حَمَلٌ عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَمَنْ ذَكَرَ حَمَلٌ عَلَى الْمَوْتِ. (لسان العرب ج ١٣، ص ٤١٥).
 ٣- أَتُدْرِكُ: أَيِ أَتَلْحَقُ؛ يُقَالُ: أَدْرَكَتِ الرَّجُلَ إِدْرَاكًا، إِذَا لَحِقَتْهُ. (جمهرة اللغة ج ٢، ص ٦٣٦).
 المعضلة: المسألة الصعبة، أو الخطة الضيقة الخارج، ومنه حديث عمر وقوله: أعوذ بالله من
 كل معضلة ليس لها أبو حَسَن. (انظر لسان العرب ج ١١، ص ٤٥٣).



[والدنا علي]*

(من الوافر)

- | | |
|--|--|
| و رَجُمُ الْغَيْبِ تَكْشِفُهُ الظُّنُونُ | ١ - أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بَنَ حَرْبٍ |
| طَوَالَ الدَّهْرِ مَا سَمِعَ الْحَنِينُ | ٢ - بَأَنَّا لَنَنْزَالُ لَكُمْ عَدَوًّا |
| أَبُو حَسَنِ وَ نَحْنُ لَهُ بَنُونَ | ٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ وَالِدَنَا عَلِيٌّ |
| و ذَاكَ الرُّشْدُ وَالْحَظُّ السَّيِّئُ | ٤ - وَ أَنَا لَا نُرِيدُ سِوَاهُ مَوْلَى |

* أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٤، نقلاً عن مجالس المؤمنين ج ١، ص ٢٩٦ عن الفتوح. و رواه في بحار الأنوار ج ٣٢، ص ٤٩٨ عن المييدي في شرح الديوان، عن ابن أعثم. و هو ساقط من الفتوح المطبوع ج ٢، ص ٢٨، وفيه: فأنشأ الهمداني يقول شعراً يفضل فيه علياً عليه السلام على معاوية.

١ - في مجالس المؤمنين و بحار الأنوار: «بن صخر».

٤ - في مجالس المؤمنين و بحار الأنوار: «لا نريد به سواه».

** إن عمرو بن الحصين السكوني لما أراد أن يطعن علياً عليه السلام من خلفه، قتله سعيد بن قيس، و أنشأ سعيد يقول: ألا أبلغ... الشعر.

الشرح :

١ - الرجم: الرمي بالظن، قال تعالى: ﴿و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾. و الغيب: كل ما استتر عنك. و رَجَمَ الرجل بالغيب: إذا تكلم بما لا يعلم. (انظر مفردات الراغب ص ٣٤٥، و جمهرة اللغة ج ١، ص ٣٧١ و ٤٦٦).

الظنون: جمع الظن، و هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، و يستعمل في اليقين و الشك، و هو هنا بمعنى العلم و اليقين، و منه قوله تعالى: ﴿ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾، أي أيقنوا. (انظر المنجد ص ٤٨١).

٢ - «لا نزال لكم عدوًّا»: أي أعداء، لأن «عدوًّا» على صيغة فَعُول، تقع على الواحد و

الجماعات، ومنه قوله تعالى، ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾. (انظر مجمع البيان ج ٢، ص ١٠٠).

الحنين: الشديد من البكاء والطرب، وقيل: هو صوت الطرب سواء كان ذلك عن حزن أو فرح. وأصل الحنين: ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها. (انظر لسان العرب ج ١٣، ص ١٢٩). و العرب تستعمل مثل هذا في الدوام والتأبيد، كما يقولون «ما هدل الحمام» و «ما طلع النيران». ٣ - معنى هذا البيت مأخوذ من مثل قول رسول الله ﷺ: يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة، و قوله ﷺ: حق عليّ على كلّ مسلم حقّ الوالد على ولده. ويسمّى كلّ من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه وظهوره أباً، ولذلك سمّي النبي وعليّ ابوين للمؤمنين. (انظر كتاب قادتنا ج ٤، ص ١٩٠ - ١٩١).

«بنون»: كذا في المجالس والأعيان، وعلى هذا ففي هذا البيت إصرافٌ وهو أن تكون حركة الروي في البيت الأول متباعدة عن حركة الروي في البيت الثاني كالضمة والفتحة. (انظر الخليل معجم في علم العروض ص ٩٠).

و الأصح في المقام هو أنّ من العرب من يجعل الإعراب في النون من جمع المذكر السالم، و وجه ذلك أنّهم يُجزّون جمع السلامة وما يجري مجراه مجرى المفرد، وأنشد في ذلك:

وَإِن لَّنَا أَبَا حَسَنِ عَلِيًّا أَبِ بَرٍّ وَنَحْنُ لَهُ بَنِينَ

(انظر الضرائر ص ١٦٦ - ١٦٧).

٤ - المولى: ينقسم في اللغة على عشرة أوجه، أولها بمعنى الأولى؛ وهو الأصل والعماد الذي ترجع إليه المعاني في باقي الأقسام، قال الله تعالى في سورة الحديد: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْكَمَ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ يريد جلّ اسمه هي أولى بكم على ما جاء في التفسير وذكره أهل اللغة المحققون. (رسالة أقسام المولى في اللسان ص ٢٧). الرُّشد: خلافُ الغيِّ، و يقال: أصاب فلان من أمره رُشداً و رَشْداً و رَشْداً. (معجم مقاييس اللغة ج ٢، ص ٣٩٨).

الحظ السمين: الحظ الكثير. (تاج العروس ج ٩، ص ٢٤٢).



[تكفيكها همدانها]*

(من الرجز)

١ - أَيْةٌ حَرْبٍ أَضْرِمَتْ نِيرَانُهَا

٢ - وَكُسِرَتْ يَوْمَ الْوَعَى مُرَائُهَا

٣ - قُلْ لِلْوَصِيِّ أَقْبَلَتْ فَخْطَانُهَا

٤ - فَادْعُ بِهَا تَكْفِيكَهَا هَمْدَانُهَا

٥ - هُمْ بَنُوهَا وَهُمْ إِخْوَانُهَا

* شرح النهج ج ١، ص ١٤٤ - ١٤٥، وعنه في بحار الأنوار ج ٣٨، ص ٢٢، وأعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٣.

البيتان ٣، ١ في مناقب ابن شهر آشوب ج ٣، ص ١٦١، وعنه في بحار الأنوار ج ٣٢، ص ١٨١.

١ - في مناقب ابن شهر آشوب و بحار الأنوار : «إن يك حرب».

٣ - في مناقب ابن شهر آشوب و بحار الأنوار : «اجتمعت قحطانها».

** و مما روينا من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمن كونه ﷺ وصي رسول الله قول عبدالله بن أبي سفيان... وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل وكان في عسكر علي ﷺ: أية حرب... الرجز.

الشرح :

١ - «أَيْة»: مؤنث أَيْ التَّعْجِيبَةِ، يقال في التعجب: أَيْ رَجُلٍ أَنْتَ، و أي جارية زينب، قال في اللسان: إذا أفردوا «أَيًّا» - أي لم يضيفوها - ثَنَوْها وجمعوها و أنثَوْها، فقالوا: «أَيْة و أَيْتان و أَيْات»، و إذا أضافوها إلى ظاهرٍ أفردوها و ذكروها. (انظر لسان العرب ج ١٤، ص ٥٧، و



معجم النحو ص ٧٨ - ٧٩). لكنَّ شعر سعيد دليلٌ على مجيئها للتعجب مضافة إلى ظاهرٍ مفردة مؤنثة. هذا ويحتمل أن تكون الرواية «آية حرب» كما ضبطت كذلك بالقلم في أعيان الشيعة.

٢- الوَعَى، كالفتى: الصوت والجلبة، وقيل هي الأصوات في الحرب، ثم كثر ذلك حتَّى سَمَّوا الحرب وعَى. (انظر تاج العروس ج ١٠، ص ٣٩٤، ولسان العرب ج ١٥، ص ٣٩٧).

الْمُرَّان: الواحدة مُرَّانَةٌ، وهي الرماح اللدنة في صلابة. (المنجد ص ٧٥٨).

٣- الوصي: قال ابن منظور: الوصية: ما أوصيتَ به، وسميت وصيةً لانتصالها بأمر الميت، وقيل لعليٍّ عليه السلام وصيٌّ لانتصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله ﷺ وسببه وسمته، قلت: كرَّم الله وجه أمير المؤمنين عليٍّ وسلَّم عليه، هذه صفاته عند السلف الصالح، ﷺ و يقول فيه غيرهم (يعني عمر): لولا دعاة فيه. (لسان العرب ج ١٥، ص ٣٩٤).

قحطان: هم بنو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وهو أصل العرب القحطانية وأبو بطون حمير وكهلان والتبابعة (ملوك اليمن) واللخميين (ملوك الحيرة) والغساسنة (ملوك الشام) في الجاهلية. يعدُّه أهل الأنساب أول رجال الجيل الثاني من أجيال العرب الثلاثة العاربة والمتعرّبة والمستعرّبة، وفيهم من قال أنَّه ابن هود، وجعله بعضهم من سلالة إسماعيل، كعدنان. (انظر الأعلام للزركلي ج ٦، ص ٣٠).

٤- فادُعُ بها: أي نادِ وصِحْ بها. (انظر أساس البلاغة ص ١٢٨).

هَمْدَان: من قبائل اليمن القحطانية، يرجع نسبها إلى هَمْدَان بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وكانوا شيعة مخلصين لعليٍّ عليه السلام، وقد مدحهم الإمام في مواطن متعددة، وقال لهم: يا معشر همدان أنتم درعي ورمحي. (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٢، ص ٣٠٢، و صفين ٤٣٧ - ٤٣٨).

٥- بنوها: أي بنو الحرب، وهم الملازمون لها، العارفون بها، المقدمون على شذائدها وأهوالها، و يقال للشجاع: ابن الحرب. (انظر المرصع ص ١٤٤). ومنه قول مالك الأشتر:

الغمرات ثم ينجلينا نحنُ بنو الحربِ بها غُدِينا



(ديوان مالك الاشر ص ٨٨).
 إخوانها: أي إخوان الحرب، وقد قالت العرب لَمَن صاحبَ شيئاً أو عاناه أو رافقه أو لازمه أو
 أكثر من استعماله: هو أخوه، ومنه قول حاتم الطائي:
 أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عَضَّها وإن شَمَرَت عن ساقِها الحربُ شَمَرًا
 (انظر الموضع ص ٤٦، وديوان حاتم الطائي ص ٤٩).



[بُؤْسًا لَهُمْ] * (من مشطور الرجز أو مشطور السريع)

١ - بُؤْسًا لَجُنْدٍ ضَائِعِي الْإِيمَانِ

٢ - مُسْتَوْسِقِينَ كَاتَسَاقِ الضَّانِ

٣ - تَهْوِي إِلَى رَاعٍ لَهَا وَسْنَانِ

٤ - أَشْلَمَهُمْ بُشْرُ إِلَى الْهَوَانِ

٥ - إِلَى سُيُوفٍ لِبَنِي هَمْدَانَ

* الفتوح ج ٢، ص ٨٨.

الآبيات ١، ٤، ٥ على التوالي في مناقب ابن شهر آشوب ج ٣، ص ١٧٢، و عنه في بحار الأنوار ج ٣٢، ص ٥٧٧ - ٥٧٨، وأعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٤.

الآبيات الأربعة الأولى بزيادة ثلاثة أبيات أخرى في صفين ص ٤٠٠ منسوبة لعمر بن الحمق الخزاعي.

١ - في مناقب ابن شهر آشوب و بحار الأنوار و أعيان الشيعة: «ضائع الإيمان».

و الرجز روايته في صفين هكذا :

بُؤْسًا لَجُنْدٍ ضَائِعِي يَمَانِ

مُسْتَوْسِقِينَ كَاتَسَاقِ الضَّانِ

تَهْوِي إِلَى رَاعٍ لَهَا وَسْنَانِ

أَقْحَمَهَا عَمْرُو إِلَى الْهَوَانِ

يَالَيْتَ كَفِي عَدَمْتُ بَنَانِي

و أَنْكَمَ بِالشَّحْرِ مِنْ عَمَانِ

مِثْلَ الَّذِي أَفْنَاكُمْ أَبْكَانِي

** و خرج بسر بن أرطاة الفهري، و في يده راية سوداء لمعاوية، و هو يرتجز و يقول: اكرم



بجند... رجزاً، قال: فخرج إليه سعيد بن قيس الهمداني وهو يقول: بؤساً لجند... الرجز.

الشرح:

١ - بؤساً: قال سيبويه: وقالوا بؤساً له، في حدّ الدعاء، وهو مما انتصب على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره. (لسان العرب ج ٦، ص ٢١).

٢ - الوُسْقُ: ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، ومنه حديث أُحُدٍ: اسْتَوْسِقُوا كَمَا يَسْتَوْسِقُ جُزْبُ الْغَنَمِ، أي استجمعوا وانضمّوا. (النهاية الأثيرية ج ٥، ص ١٨٦).

٣ - هَوَى يَهْوِي هُويّاً، وَالهَوِيُّ: ذَهَابٌ فِي انْحِدَارٍ، وَقَدْ عَدَّاهُ بِـ «إِلَى» لِإِنْ مَعْنَى هَوَيْتُ الشَّيْءَ مِلْتُ إِلَيْهِ، فَكَانَتْهُ قَالَ: تَمِيلُ إِلَى رَاغٍ، فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾. (انظر مفردات الراغب ص ٨٤٩، ومجمع البيان ج ٣، ص ٣١٧).

الوسنان: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه، والوسن أول النوم، وَقَدْ وَصَفَ يَوْمَ سِنَةَ، فَهُوَ وَسِنٌ وَوَسْنَانٌ. وَأَرَادَ هُنَا قَلَّةً مِبَالَاتِهِ بِجَنْدِهِ، وَاتَّبَاعَ الْجَنْدِ لِمَنْ هُوَ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِلاتِّبَاعِ. (انظر النهاية الأثيرية ج ٥، ص ١٨٦).

٤ - بُسْرٌ: هُوَ بُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ بْنِ أَبِي أَرْطَاةَ الْقُرَشِيِّ، كَانَ مِنْ أَزْلَامِ مُعَاوِيَةَ، فَظّاً سَفَاكاً لِلدَّمَاءِ، شَهِدَ مَعَ مُعَاوِيَةَ صَفِّينَ، وَأَغَارَ بَعْدَهَا عَلَى هَمْدَانَ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ فَكُنَّ أَوَّلَ مُسْلِمَاتٍ سُبِينَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَغَارَ عَلَى الْيَمَنِ وَقَتَلَ ابْنِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُمَا طِفْلَانِ، دَعَا عَلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِأَنْ يَسْلُبَ اللَّهُ عَقْلَهُ وَدِينَهُ، فَأَصَابَتْهُ دَعْوَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَقَلَهُ وَكَانَ يَهْذِي بِالسِّيفِ وَيَطْلُبُهُ، فَيُوتَى بِسِيفٍ مِنْ خَشَبٍ وَيُجْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ زِقٌ مَنْفُوخٌ، فَلَا يَزَالُ يَضْرِبُهُ حَتَّى يَسْأَمَ، وَمَاتَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَعْنَهُ اللَّهُ. (انظر الأغاني ج ١٦، ص ٢٦٦ - ٢٧٢، وَالْإِسْتِيعَابُ ج ١، ص ١٥٧ - ١٦٦).

الهوان: الذل والضعف. (المصباح المنير ص ٦٤٣).



(من الرجز)

[فاتني معاوية]*

١ - يَا لَهْفَ نَفْسِي فَاتْنِي مُعَاوِيَةَ

٢ - فَوْقَ طِمِيرٍ كَالْعُقَابِ هَاوِيَهُ

٣ - وَالرَّاقِصَاتِ لَا يَعُودُ ثَانِيَهُ

٤ - إِلَّا عَلَى ذَاتِ خَصِيلٍ طَاوِيَهُ

٥ - إِنْ يَعُدِّ الْيَوْمَ فَكْفِي عَالِيَهُ

* الرجز في صفين ص ٢٧٤، و عنه في أعيان الشيعة ج ١، ص ٤٩٣ و ج ٧، ص ٢٤٤.

الآبيات ١، ٢، ٣، عن صفين في شرح النهج ج ٨، ص ٧٠.

الآبيات ١، ٣، ٤، ٥، في الفتوح ج ٢، ص ٤١.

الآبيات ١، ٢، ٣، «إلا هوى معفراً في الهاوية» في مناقب ابن شهر آشوب ج ٣، ص ١٧١

منسوبة لقيس، و عنه في أعيان الشيعة أيضاً ج ٧، ص ٢٤٤ منسوبة لسعيد بن قيس، فكأن ما في المناقب المطبوع اشتباه.

البيتان ١، ٢، في مروج الذهب ج ٣، ص ٣٠، و ديوان الإمام علي ص ١٣٣. منسوبان للإمام علي عليه السلام.

٤ - في مناقب ابن شهر آشوب، و عنه في أعيان الشيعة: «إلا هوى معفراً في الهاوية».

٥ - في أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٤ عن نصر: «فكعبي عاليه».

* فأصبح معاوية في غده فلم يدع فارساً إلا حشده، ثم قصد لهمدان بنفسه، و تقدّم الخيل و

هو يقول: لا عيش إلا... رجزاً، فظعن في أعراض الخيل ملياً، ثم إن همدان تنادت بشعارها،

و أقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية و اشتد القتال، و حجز بينهم الليل، فذكرت همدان

أن معاوية فاتها ركضاً، و قال سعيد بن قيس في ذلك: يا لهف نفسي... الرجز.

الشرح :



٢ - الطِّمْرُ، كَفِيلَز: الفرس الجواد. (المنجد ص ٤٧١).

العُقَابُ: طائر معروف من الكواسر، و هي عالية الوكر، خفيفة الجناح سريعة الطيران، و العرب تشبّه به في السرعة، فمن ذلك قول هارون الرشيد في جعفر بن يحيى البرمكي :

لو أن جعفرَ خافَ أسباب الردى لنَجّابه منها طِمْراً مُلجِماً
و لكان من حذر المنية حيث لا يرجوا للحاق به العقاب القشعم

(انظر حياة الحيوان ج ٢، ص ٣٧ - ٣٩). و زاد بيت سعيد هنا جمالية و مبالغة في التشبيه بها بالسرعة كونها هاوية، فتكون أسرع، فيكون البيت أبلغ في وصف فرار معاوية.

٣ - الواو في قوله «الراقصات» للقسّم، و الراقصات هي الإبل السريعة المشي، التي تمشي خَبّاً، فإن الرقص هو الخب (انظر لسان العرب ج ٧، ص ٤٢). و يراد بها هنا الإبل التي يُحجُّ عليها.

٤ - الخَصِيل: جمعُ الخصلة، و هي كلّ ما انماز من لحم الفخذين، و قال بعض العرب يصفُ فرساً: إِنَّهُ سَبَطَ الخَصِيلَ وَهُوَ الصَّهِيل. (انظر لسان العرب ج ١١، ص ٢٠٧). أو أَنَّ الخصيل هنا هو الذَّنْب، فيكون قوله هذا كقول امرئ القيس :

ضليع إذا استدبرته سدّ فرجُهُ بضافٍ فُويقَ الأرض ليس بأعزل
و هو السابغ، إذ يكره من الفرس أن يكون أعزل - أي ذنبه إلى جانب - و أن يكون قصير الذنب و أن يكون طويلاً يطأ عليه. (انظر لسان العرب ج ١١، ص ٢٠٧، و شرح القصائد العشر ص ٥٩ - ٦٠).

طاوية: أي ضامرة، من قولهم: طواه السير، أي هزّله (أساس البلاغة ص ٢٨٢) و المراد هنا الفرس الضامرة السريعة الجري، أي أن معاوية لا يعود إلى الحرب إلّا على مثل هذه الفرس ليهرب عليها، و قد عيّر معاوية النجاشي الشاعر، بمثل هذا فقال :

و نجّى ابنُ حربٍ سابِغٌ ذو علالةٍ أجشٌ هزيمٌ و الرماح دواني

٥ - يريد الظفر به و قتله، و معنى «كفي عالية» أي قوّتي هي الغالبة فالكفّ كناية عن القوّة و الغلبة. و أما رواية أعيان الشيعة «فكعبي عالية» فهي من قولهم علا كعبك، دعاء بالعلوّ و الشرف، و الأصل فيه كعبُ الفئاة، و هو أنبوبها و ما بين كلّ عقدتين منها كعبٌ. (انظر النهاية الأثيرية ج ٣، ص ٢٩٤، و ج ٤، ص ١٧٩).



[هذا عليّ] * (من الرجز)

١- هذا عليّ وابن عمّ المصطفى

٢- أوّل من أجابه فيما روى

٣- هو الإمام لا يبالى من غوى

* الرجز في شرح النهج ج ١٣، ص ٢٣٢ عن كتاب نقض العثمانية، وعنه في الغدير ج ٣، ص ٢٣١، وهو في أعيان الشيعة ج ٧، ص ٢٤٥.

الرجز في الفصول المختارة ص ٢٧١، و مناقب ابن شهر آشوب ج ٣، ص ٦٦ منسوب لقيس ابن سعد بن عباد الانصاري.

٢- في الفصول المختارة و المناقب: «أول من أجابه ممن دعا».

٣- في الفصول المختارة و المناقب: «هذا الإمام لا يبالى من غوى».

في الغدير: «هذا الامام».

** و أما الأشعار المروية [عن الصحابة، و التي ذكروا فيها أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أول من أسلم]

فمعروفة كثيرة منتشرة، فمنها قول عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ... وقال

سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين: هذا علي.... الرجز.

الشرح :

٢- أي فيما روى ﷺ من التوحيد و النبوة، و أخبار الغيب، حيث كذّبه قريش، و كان علي عليه السلام

أوّل من صدّقه و آمن به.

٣- أي أنّ أمير المؤمنين هو الإمام الحقّ، السائر على نهج رسول الله، ولا يبالى ولا يكثرث بمن

غوى و مال عن الحق.

ثبت مصادر التخريج

- ١ - «أعيان الشيعة» للسيد محسن الأمين العاملي، حققه وأخرجه حسن الأمين، ط . دار المعارف للمطبوعات. بيروت.
- ٢ - «بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار» للمولى الشيخ محمد باقر المجلسي. المتوفى سنة ١١١١ هـ. طبع مؤسسة الوفاء في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٣ - «تاريخ الطبري» أو «تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، المتوفى سنة ٣١٠ هـ. ط . المطبعة الحسينية في مصر سنة ١٣٢٦ هـ.
- ٤ - «ديوان أمير المؤمنين» بجمع و ترتيب عبدالعزيز كرم.
- ٥ - «شرح الديوان المنسوب لأmir المؤمنين»، لكمال الدين مير حسين بن معين الدين الحسيني الميبيدي، المقتول سنة ٩١١ هـ.
- ٦ - «شرح نهج البلاغة» لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ. الطبعة الثانية لدار إحياء الكتب العربية في القاهرة سنة ١٩٦٥ م - ١٣٨٥ هـ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
- ٧ - «صقّين» أو «وقعة صفين» لأبي الفضل نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة ٢١٢ هـ. طبع مكتبة المرعشي النجفي سنة ١٤٠٣ هـ. بالأفست عن الطبعة الثانية للمؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة سنة ١٣٨٢ هـ. بتحقيق عبدالسلام هارون.
- ٨ - «الغدير في الكتاب و السنة» للشيخ عبدالحسين بن أحمد الأميني، المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ ط . الخامسة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٩ - «الفتوح» لأحمد بن محمد بن علي، المعروف بابن أعثم الكوفي، المتوفى سنة ٣١٤ هـ. ط . الأولى لدار الكتب العلمية في لبنان سنة ١٩٨٦ م - ١٤٠٦ هـ.

كما أوزنا من طبعة دار الفكر بتحقيق الدكتور سهيل زكار.

١٠ - «الفصول المختارة من العيون والمحاسن» اختيار السيد المرتضى من كتاب العيون والمحاسن لمحمد بن محمد بن النعمان العكبري، المعروف بالشيخ المفيد، المتوفى سنة ٤١٣ هـ. ط. الأولى للمؤتمر الألفي للشيخ المفيد في قم ١٤١٣ هـ.

١١ - «مجالس المؤمنين» للسيد القاضي نور الله بن شريف الدين بن نور الله الحسيني التستري المعروف بالشهيد الثالث، استشهد سنة ١٠١٩ هـ. طبع المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٦٥ هـ. ش.

١٢ - «مروج الذهب» للمؤرخ الثبت أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٦ هـ. ط. المكتبة التجارية الكبرى بمصر. الطبعة الرابعة سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

١٣ - «المناقب» للحافظ أبي المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد البكري المكي الحنفي، المعروف بأخطب خوارزم، المتوفى سنة ٥٦٨ هـ. ط. مكتبة نينوى الحديثة بطهران، بالأفسييت عن طبعة المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف سنة ١٩٦٥ م. بتقديم محمد رضا الخرسان.

١٤ - «مناقب آل أبي طالب» لأبي جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ. ط. مؤسسة انتشارات العلامة بالمطبعة العلمية بقم، سنة ١٣٧٩ هـ. بتصحيح و تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاني.

١٥ - «نقض العثمانية» وهو نقض للرسالة العثمانية التي كتبها الجاحظ، و النقض تأليف أبي جعفر الإسكافي المعتزلي المتوفى سنة ٢٤٠ هـ. ذكر بعضها ابن أبي الحديد في شرح النهج، ثم جمع و طبع مستقلا في مصر سنة ١٣٧٤ هـ. ق.

ترقيوا صدور الديوان السادس

ديوان

عدي بن حاتم الطائي